The Situation of Iraq on the Eve of the Eighteenth Century and its Beginning

Dr. Abdul Latif Nasser Ahmed Al-Humaidan
King Saud University / College of Arts
E-mail : nn_201163@hotmail.com

Abstract:

The research discusses the disturbances and uprisings that occurred in the province of Baghdad between the years 1098-1112 AD, as well as the rebellion of Sheikh Mani' in Basrah between the years 1102-1109 AD. It also covers the Iranian occupation of Basrah between 1008-1113 AD, and the Ottoman campaign led by Mustafa Pasha Deltaban against the rebellion in Basrah in the year 1112 AD. The conditions of Basrah between 1113-1116 AD are examined. The research also includes an Ottoman report on the military campaign to the Thiyab River. We also do not neglect the impact of diseases and epidemics such as the plague and cholera, which claim lives from time to time in most parts of Iraq, as well as drought and its effect on the rise in food prices. All these events collectively and individually were faced by Iraq on the eve of the eighteenth century and its beginning.

Key words: Basrah, uprisings, Khuzayil.

أوضاع العراق عشية القرن الثامن عشر ومطلعه

الدكتور عبداللطيف ناصر احمد الحميدان(*)
جامعة الملك سعود / كلية الاداب
E-mail : nn_201163@hotmail.com

الملخص:

يتضمن البحث الحديث عن الاضطرابات والانتفاضات التي حدثت في ولاية بغداد في الأعوام ما بين ١٠٩٨-١١١٢م فضلاً عن تمرد الشيخ مانع في البصرة ما بين عام ١١٠٢-١١٠٩م، ثم الاحتلال الإيراني للبصرة ما بين ١٠٠٨-١١١٣م، وقيام العثمانيين بإرسال حملة بقيادة مصطفى باشا دلتبان ضد التمرد في البصرة عام ١١١٢م، وتفحص أحوال البصرة ما بين ١١١٣- ١١١٦م، كما ألحق بالبحث تقرير عثماني عن الحملة العسكرية لنهر ذياب، ولم نهمل في ذلك أثر الأمراض والأوبئة كالطاعون والكولرا التي تحصد الأرواح بين حين وآخر في معظم أنحاء العراق ومثل ذلك الجفاف وتأثيرها في ارتفاع أسعار المواد الغذائية كل هذه الأحداث مجتمعه ومنفرده كان قد واجه العراق عشية القرن الثامن عشر ومطلعه.

الكمات الافتتاحية: البصرة – الانتفاضات – الخزاعل.

---

*) د. عبداللطيف بن ناصر الحميدان. مؤرخ وأكاديمي سعودي.

ولد في العام ١٩٣٤م في الزُّبير لأسرة نجدية هاجرت من بلدة جلاجل وسط نجد. درس تعليمه الأولي بالزبير، ونال درجة البكاليورس في التاريخ من جامعة بغداد، وحاز الدكتوراه من جامعة مانشستر ١٩٧٥م.

عمل أستاذاً للتاريخ في جامعتي البصرة والملك سعود، ورئيساً لقسم التاريخ بجامعة الملك سعود، أشرف على عشرات الرسائل الجامعية، وشغل عضوية العديد من المجالس والجمعيات العلمية، ونال جائزة الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للمؤرخين السعوديين (٢٠١٤م).

من أبرز مؤلفاته: مشيخة الزبير النجدية من النشوء إلى السقوط، السلطنة الجبرية في اليمامة وبلاد البحرين وعمان، لمحات تاريخية عن إمارة العصفوريين، صلة الدولة بالقبيلة في العصر العباسي،وتاريخ البصرة والأحساء والقطيف، وغيرها.

المقدمة:

شهد قطر العراق خلال المدة المنصرمة غموضاً قبلياً واسعاً شمل أجزاءه الشمالية والوسطى والجنوبية. ففي شماله تزعمت ذلك النفوذ والتمرد أسرة بابان الكوردية بقيادة سليمان. وفي وسطه تزعمت أسرة الخزاعل العربية الشيعية بقيادة عباس وولده سلمان. وفي الجنوب تزعمت أسرة المنتفق تحت قيادة شيخها مانع وشيخها سعدون. إن تلك القوة القبلية كادت في لحظة من اللحظات أن تزيح من مناطقها حكم العثمانيين، فضلاً عن أن بعضها كاد أن يؤدي إلى تجدد الصراع بين العثمانيين والصفويين نتيجةً لنشاطها المتكرر في اختراق حدود البلدين. ولكي يستعيد العثمانيون سلطتهم على العراق وإبقاء وجودهم فيه الذي كاد أن يزول، دفعوا بأعداد كبيرة من الجند المرة بعد المرة، وبالرغم من خسائرهم الفادحة إلا أن إصرارهم واستمرارهم على القتال قد أدى إلى انتصارهم الحاسم فأوقعوا خسائر كبيرة بالمتمردين العرب وسفكوا دماءً غزيرة منهم، حتى رأى المراقبون أن في الفرات الأوسط كان يمكن أن تشاهد أهرامات من جماجم العرب الذين سُفكت دماؤهم. ومما يلفت النظر أن عشائر المنتفق عندما يحدث نزاع بين العثمانيين والصفويين فإنهم برغم كل ذلك ينضمون إلى العثمانيين. وعلى أية حال، إن العراق خلال هذه المدة لم يخلُ من مجاعات، فضلاً عن وباء الطاعون الذي كان يكتسح المدن الكبرى وبصفة خاصة بغداد والبصرة، ويحصد الآلاف، ثم مرض الكوليرا الذي لا تخلوا منه سنة من السنوات، كما أن تلك التمردات أدت إلى دمار في الأراضي الزراعية الخصبة حيث كان المتمردون لا يلبثون أن يغمروا تلك الأراضي بالمياه حتى تتكون مستنقعات ويحموا أنفسهم بها، وما يرافق ذلك من عفونة في الجو وشعور بالحرارة لا تطاق تؤثر على نشاط الإنسان.

هذا ولعل الضميمة التي ألحقناها في البحث والأحداث التي حدثت خلالها تؤكد الصورة التي سبق أن ذكرناها.

أولاً: الاضطرابات والانتفاضات في ولاية بغداد خلال الأعوام١٠٩٨-١١١٢هـ/١٦٨٧- ١٧٠م[١]:

إن الباحث في تاريخ العراق لا بد أن يكتشف أن الظروف المناخية والمجاعات والأمراض كانت تلعبُ دوراً خطيراً في وقوع الأحداث العديدة. ففي العام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م كان المناخ في العراق قد تعرض للجفاف الشديد، وهو ما تسبب في انتشار المجاعات بشكل واسع، بحيث ترك الآلاف من الفلاحين من كرد وعرب أراضيهم وأصبحوا هائمين يبحثون عما يسدُّ رمقهم من الطعام في أطراف المدن. وخلال السنوات ١١٠١-١١٠٢هـ/ ١٦٩٠-١٦٩١م ضرب هذه المدة وباء الطاعون فقد أصاب ولاية بغداد بصورة عنيفة حيث توفي فيها نحو مائة ألف "١٠٠.٠٠٠" شخص خلال ثلاثة أشهر[٢]. وفي العام ١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م عاود هذا الوباء الهجوم مرة أخرى في ولايتي بغداد والبصرة وكان أكثر عنفاً من سابقه

بحيث توفي أكثر من ثمانين ألف شخص "٨٠,٠٠٠" شخص في البصرة وحدها، وهرب الباقون من المدينة حتى أصبحت البصرة خلال السنوات الثلاث التي تلتها خالية تقريباً من السكان[٣]. وكان من نتائج ذلك أيضاً أن كثيراً من المسؤولين في الإدارة والقيادة العسكرية قد توفوا، لذا فإن الإيرادات قد انخفضت[٤]. وخلاصة الأمر إن الإدارة العثمانية قد أصبحت في حالة انهيار في معظم المناطق، ولا سيما بعد حدوث الانتفاضات القبلية في العديد من تلك المناطق، التي سببت ضرراً واسعاً في الاقتصاد الريفي.

ومما هو جدير بالذكر أنه في العام ١١٠٢هـ/ ١٦٩١م تمرد الأمير الكردي سليمان بابان والأمير حسن، وشاركهما في ذلك التمرد أعيان الأكراد في لواء بابان من ولاية شهرزور[٥]، ونجحوا في بسط سلطتهم على أراضٍ واسعة. وهزموا قوات دلاور باشا والي شهرزور بل حتى قاموا بقتله[٦]. يضاف إلى ذلك فإن سليمان بابان اقتحم برفقة قواته الكردية، العديد من القرى في منطقة أردلان ومكري وهورمان، عند الحدود الإيرانية[٧]، وهو ما حمل الباب العالي على جعل جزء من ولاية شهرزور تحت سلطة والي بغداد حسن باشا حيث أُمر بقمع المتمردين. كما تم إرسال أوامر إلى حكام وان والموصل وباشوات الأكراد الآخرين للانضمام إلى والي بغداد حسن باشا[٨]. وهذ يفضي إلى القول إن حالة العراق كانت في تدهور عام، وبخاصة أن قوات الولايات الأخرى المذكورة لم تنضم إلى باشا بغداد لمساعدته، حيث إن تمرد سليمان بابان قد استمر، وجعل بغداد تكتفي بإرسال تحذير له[٩]. كما كانت الفوضى تعم أرجاء العراق كافة، فالفلاحون وأبناء القبائل هم المتحكمون بمعظم الإنتاج، في حين أن الباب العالي كان بأمس الحاجة إلى الأموال والمؤن دعماً لميزانيته التي استنفذتها حروبه الطويلة مع القوى الأوروبية. وكانت القبائل في هذه الأثناء تقاوم دفع الرسوم وبخاصة الاستثنائية، بل رفضت حتى دفع الرسوم الاعتيادية (الميري).

عندما تولى قلايلي أحمد باشا حكم بغداد في شعبان١١٠٥هـ/ مارس ١٦٩٤م، كان الشاه الصفوي قد قام بإرسال قواته ضد سليمان بابان نظراً لإحداثه ضرراً شنيعاً بالأراضي الإيرانية. ولما كان من الضروري لجيشه عبور أراضي العراق لتأديب سليمان بابان؛ فقد كتب خانات الحدود الإيرانية حول ذلك إلى قلايلي أحمد باشا والي بغداد، الذي حذره من اتخاذ أي إجراء من شأنه أن يؤدي إلى انتهاك معاهدة السلام بين الدولتين[١٠]. وكانت قبائل زبيد والجحيش وسعيد وخالد وعمير ونوفل والدليم قد كونت تحالفاً فيما بينها في المنطقة الواقعة ما بين جنوب بغداد وجنوب الحلة، حيث استطاعت هزيمة قوات الحكومة، وفي سنة ١١٠٦هـ/١٦٩٤- ١٦٩٥م قام التحالف المذكور بمهاجمة قبيلة شمر واستطاع دحرها وهو ما حمل قبيلة شمر على الطلب من الوالي قلايلي أحمد باشا بمساعدتها ضد تلك القبائل، في المقابل دعا ذلك القبائل المتحالفة لدعوة الشيخ عباس شيخ بني عُمير لتقديم المساعدة الضرورية لها وهو ما أوقع شمر وجيش بغداد في هزائم عدة. لجأت شمر أخيراً إلى الشيخ سلمان شيخ قبيلة الخزاعل وقسم آخر منهم لجأوا إلى قبائل المنتفق[١١]، ولكي يتم استعادة النظام في الفرات الأوسط قام الوالي قلايلي أحمد باشا بحملة ترهيبية

ضد المتمردين. وعلى الرغم من نجاحه في دحرهم[١٢] والقبض على الشيخ سلمان الزعيم القوي لقبيلة الخزاعل، إلا أن قواته في النهاية هُزمت بعد وقت قصير من خروج سلمان من السجن في بغداد. وكانت سيطرة الشيخ سلمان الخزعلي تشمل في الفرات الأوسط السماوة والرماحية والحسكة والأراضي الممتدة فيما بعد الحلة. وكانت شمر تهاجم أطراف بغداد، أما بني جميل وعزة من قبائل زبيد فتهاجم مناطق شمال بغداد وشرقها. وكانت قبيلة بني لام تحت زعامة شيخها عبد الشاه وكانت تهاجم معظم المناطق الواقعة شرق نهر دجلة التي تمتد حتى بدرة وجصان ومندلي[١٣]، وقد استطاعت قطع الطريق ما بين إيران وبغداد[١٤] وخلالها لم يكن لباشا بغداد سلطة خارج أسوار المدينة. وفي محرم١١٠٧هـ / آب ١٦٩٥م وصل إلى بغداد والٍ جديد اسمه علي باشا حيث كان الباب العالي قد أرسل أوامره إلى باشوات ديار بكر والموصل وشهرزور بالانضمام بقواتهم إلى والي بغداد الجديد والقبض على المتمردين وتأديبهم، كما تم إرسال أوامر إلى باشا الرقة لإرسال عشر سفن مسلحة إلى بغداد[١٥]. ومما يجدر ذكره أن شريف مكة سعيد قد أسهم في هذه الحملة ضد القبائل العراقية[١٦]، ربما لأن العديد من القبائل في نجد مثل شمر والفضول كانت مشاركة في هذه التمردات ضد السلطة العثمانية.

وعلى أية حال، بعد أن تجمعت هذه القوات في بغداد تمرد كثير من الجند وتركوا الحملة بحجة نقص المواد الغذائية في بغداد وارتفاع الأسعار، فضلاً عن ذلك وفاة ولاة الرقة وديار بكر. غادرت هذه القوات بغداد نحو ولاياتها من دون أن يشاركوا في أي عمل ضد المتمردين[١٧]. ووفقاً لنظمي زادة المؤرخ العراقي فإن علي باشا قد نجح خلال مدة حكمه في حملاته العديدة ضد القبائل العربية مثل شمر وبنو جميل وبنو زبيد وبعض قبائل الفرات حيث استمر في حملاته ضدها أكثر من ثلاث سنوات، وقد استخدم ضدهم علي باشا قبائل باجلان وبيات وطي إضافة لقوات بغداد[١٨]. وقد تفاقم الوضع في العراق عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م بحيث غدا أكثر تعقيداً لاحتلال الإيرانيين للبصرة، وفي محاولة للتعامل مع هذا الوضع الجديد المتفاقم في العراق عزل الباب العالي علي باشا عن بغداد وعين إسماعيل باشا الذي كان سابقاً والياً لمصر[١٩]. وصل إسماعيل باشا إلى بغداد في ربيع الأول١١١٠هـ/ أيلول ١٦٩٨م في الوقت الذي أرسل الباب العالي أوامره إلى باشوات حلب وديار بكر وشهرزور يوصيهم بالحفاظ على أرض العراق كجزء من الإمبراطورية العثمانية[٢٠].

احتشد حول إسماعيل باشا في بغداد جيش يتكون من نحو خمسين ألف رجل "٥٠,٠٠٠" من الأتراك والعرب والأكراد، وتوجهت تلك القوة عام١١١١هـ/١٦٩٩م ضد قبائل زبيد، وبعد قتال دامٍ نجح الوالي في هزيمتهم واضطروا لدفع ضرائب الميري، حيث استمروا لمدة عشر سنوات يتصرفون تصرفًا حسنًا[٢١]. قام باشا بغداد بعد هذا الانتصار بقيادة قوات الدولة العثمانية نحو المتمردين العرب في الفرات الأوسط، حيث هزم المتمردون العرب القوات العثمانية بعد قتال دامٍ، وعلى إثرها تمرد الجند العثمانيون ضد قادتهم

وانسحبوا إلى كربلاء، حيث ارتكبوا فيها أعمالاً مشينة، ولجأ بعضهم إلى إيران[٢٢].

على أية حال، أثارت هذه الاعتداءات ضد سكان المدينة المقدسة كربلاء غضب الحكومة الإيرانية التي أرسلت احتجاجاً شديد اللهجة بشأن ذلك، وربما حمل ذلك الباب العالي على عزل إسماعيل باشا من منصبه في صيف عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م، فهرب الباشا المذكور إلى إيران خوفاً من عقاب الباب العالي[٢٣]. إن إسماعيل باشا قد نجح في تحقق شيء واحد وهو قمع تمرد سليمان بابان، في حين أن نظمي زادة مؤرخ العراق لا يذكر شيئًا عن نهاية تمرد سليمان بابان، أما راشد المؤرخ العثماني فيذكر أنه في العام ١١١١هـ/ ١٦٩٩م قاد حاكم بغداد حملة عقابية ضد سليمان بابان بعد أن تلقى تعزيزات من الولايات المجاورة[٢٤]، كما سبق أن ذكر. وعلى أي حال، إن ثورة بابان قد انهارت عندما أُجبر سليمان بابان على الفرار إلى العمادية، ثم إلى جبل حكاري، ثم إلى راوندوز، في حين أن معظم أعيان الأكراد الذين دعموا سليمان بابان قد تم القبض عليهم ومن ثم إعدامهم[٢٥].

ووفقًا لقول المقيم البريطاني كلاوديوس ريتش Claudius Rich فإن سليمان بابان عند هروبه ذهب إلى إسطنبول حيث منحه السلطان رتبة وزير. بالإضافة إلى تعيينه حاكماً لبابا داغ أو غير هذا المكان، حيث توفي فيما بعد[٢٦]. وفي الحقيقة فإن تمرد سليمان بابان كان مؤشراً على صعود أسرة بابان، وأنها ستلعب دوراً رئيساً في تاريخ العراق خلال القرون القادمة. وفي الواقع أن أبناء شيوخ الأكراد كانوا دائماً يتولون مناصب رفيعة بمعنى الكلمة. وأن الحروب الطويلة في العراق بين الصفويين والعثمانيين بين العامين ١٦٢٣م و١٦٣٩م فتحت الطريق أمام مشاركة عدد منهم في السلطة حيث مارسوا سلطتهم في الإدارة المحلية. وقد فصلت المصادر الصفوية في مسألة سليمان بابان وعزله من حكم أردلان من قِبَل الشاه[٢٧]، كما أن المؤرخ محمد إبراهيم بن زين العابدين نصيري فصّل كثيراً في أحداث سليمان بابان الأردلاني وقيامه بالعصيان في شهرزور وأن الصراع معه استمر مدة طويلة شارك فيه والي كركوك دلاور باشا، في حين اشتركت معه قبائل بلباس الكردية، على أي حال، فإن عصيان سليمان بابان قد أدى إلى اضطراب المنطقة الواسعة في الحدود العراقية الإيرانية لمنطقة أردلان والقلاع الموجودة فيها وفصائل كردية أخرى كما ساهمت فصائل في ذلك كقبيلة الجاف[٢٨].

ثانيًا: تمرد الشيخ مانع شيخ المنتفق في البصرة١١٠٢- ١١٠٩هـ/١٦٩٠ – ١٦٩٧م:

إن قبائل المنتفق كانت تستقر في الشمال من ولاية البصرة، وكان تمردها المستمر ضد الحكومة، كما يذكر المؤرخ العثماني راشد الضوء، يرجع إلى العداء بين ولاة البصرة وشيوخ المنتفق. إذ أشار إلى أنه قبل الفتح العثماني للبصرة كان المنتفق يمتلكون أربع قرى مُنحت لشيخهم بوصفها علوفه، وقد تم الاعتراف بذلك رسمياً من قبل العثمانيين بعد فتح ولاية البصرة، إضافة إلى ذلك منحوا الشيخ رتبة شرف وهدايا

سنوية[٢٩] في مقابل دفع العشور (العشوائية) [٣٠] والقيام بحماية قرى البصرة عن طريق تجهيز أربعمائة "٤٠٠" مسلح لهذه الغاية، على أن يمنح الشيخ هدايا سنوية وعباءة شرف[٣١]. وفي حالة رفض الحكام دفع تلك الهدايا أو المنح لشيخ المنتفق، فإنه يهمل القيام بحراسة القرى والمزارع. وفضلاً عن ذلك فقد منعوا حسن جمال آغا الذي كان ملتزما ضرائب الجزائر[٣٢] من تحصيل تلك الضرائب من الفلاحين. ومن ثم لم يتمكن المذكور من أن يدفع سوى ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ بورصة اقتش إلى خزينة البصرة ومن سداد ضرائب الميري. وعندما أصبح أحمد باشا بن عثمان باشا والياً للبصرة عام ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠-١٦٩١م الذي يتميز بطمعه الشديد، على الرغم من أن الأوضاع في العراق خلال هذه المدة كانت بالغة الصعوبة بسبب الجفاف والجوع الذي ولد مجاعة فضلاً عن الطاعون، علاوة على ذلك فإن الباشا المذكور كان يمارس سياسة شديدة الجشع ضد أهالي البصرة، كما قام بتوزيع أراضي الجزائر على أتباعه واستخدم قواته لفرض رسوم استثنائية على أهالي البصرة. إن هذه الأعمال القاسية التي تمارسها قوات اللاوند ضد الرعايا (الفلاحين) أثارت غضب الأشراف والأعيان وهو ما حملهم على رفع الشكوى ضد الوالي وقواته، ومع هذا فقد تجاهلها[٣٣]، وهو ما حمل الشيخ مانع رئيس قبيلة المنتفق في العام ١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م[٣٤] وبتأييد من الأهالي والأشراف والأعيان في البصرة[٣٥] على قيادة قواته التي تقدر بحوالي ثلاثة آلاف "٣٠٠٠" رجل، وزحف بهم ليلتقي بوالي البصرة أحمد باشا عند قرية الدير، وهي ليست بعيدة عن البصرة. وكانت قوات الوالي تقدر بحوالي خمسمائة "٥٠٠" رجل حيث أوقع المنتفق بهم هزيمة وقتلوهم جميعاً بما فيهم الباشا نفسه. واحتل الشيخ مانع نتيجة لذلك البصرة لمدة قصيرة، ثم انسحب عنها بموافقة الأشراف والأعيان[٣٦]. وبموافقة الأعيان أنفسهم أيضاً تم تولية حسن آغا الجمال ولاية البصرة وهو الرجل القوي الذي يمتاز بالحكمة بين الأعيان.

وكتب أعيان البصرة إلى والي بغداد عن أحوال البصرة وذلك في بداية العام ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م وأرسلت الرسائل إلى حسن آغا الذي كان كهيه الوالي ومنحه السلطة لتولي الولاية[٣٧]. وفي الوقت نفسه قام صالت أحمد باشا والي بغداد بإرسال حملات ترهيبية ضد الشيخ مانع ولكنها مُنيت جميعاً بالهزيمة[٣٨]. ومن أجل محاولة التعامل مع هذه الاضطرابات المتفاقمة في العراق وافق الباب العالي على تعيين صالت أحمد لولاية البصرة ومحصل حلب الكهية أحمد آغا لولاية بغداد[٣٩]. وفي هذا الوقت الحرج توفي صالت أحمد باشا قبل أن يتمكن من تولي منصبه فقام الباب العالي في العام ١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م بإرسال أمر جديد يتضمن تعيين قابوجي خليل آغا Kepiji Khalil Agha أخو القتيل ليكون باشا للبصرة، وفي الوقت نفسه أُرسلت الأوامر إلى باشوات ديار بكر والموصل وشهرزور للانضمام بقواتهم إلى باشا بغداد، الذي عين قائداً لهذه القوات جميعاً والمكلفة بقمع الانتفاضات القبلية[٤٠]. وأصبح الشيخ مانع يسيطر بشكل محكم على أرياف جنوب البصرة إلى وسط الفرات وأقام قلاعاً في العديد من الأماكن. وكما

يبدو إن انتفاضة المنتفق شجعت الفلاحين والقبائل الأخرى في ولاية بغداد على الثورة حتى أن هذه الانتفاضات امتدت حتى جنوب بغداد. وعلى أي حال، سارت القوات العثمانية بعد كثير من التردد في شوال١١٠٤هـ/ مايو ١٦٩٣م بقيادة باشا بغداد ضد المنتفق(٤١). وكان الشيخ مانع قد غمر منطقة واسعة من الأراضي بالمياه عن طريق كسر ضفاف نهر الفرات. وقد التقت هذه القوات بالقرب من قرية بني أسد شمال منطقة جزائر في ولاية البصرة، وبعد معارك ضارية نجح الشيخ مانع في كسبها ضد القوات العثمانية التي انسحبت نحو بغداد وهي في حالة يرثى لها(٤٢). ووصلت هذه الأنباء المقلقة إلى الباب العالي وقرر اتباع سياسة تصالحية في التعامل مع الانتفاضات في البصرة. ولغرض المساومة مع الشيخ مانع قام الباب العالي بإرسال قبوجي باشي(٤٣) حاملاً رسالة لاستمالة الشيخ مانع (استمالة نامه)(٤٤)، وبعد مفاوضات مع الشيخ مانع وأعيان البصرة وأشرافها وافق الباب العالي على رفع المظالم التي كانت مصدر شكواهم بسبب تصرفات الموظفين العثمانيين، كما تم تخفيض الرسوم السنوية "سليانة" على البصرة البالغة مائة ألف "١٠٠.٠٠٠" قرش(٤٥) لتصبح ثلاثة وسبعين ألف "٧٣,٠٠٠" قرش. وفي الوقت نفسه، كوفئ الشيخ مانع بمنحة ترقية لتيماره "أي زيادة إيراد تيماره"(٤٦). وفي الوقت ذاته أعلن الشيخ مانع طاعته للسلطان وأذن لقبوجي خليل باشا بالدخول إلى البصرة وممارسة سلطاته(٤٧). وتم استعادة الأمن والسلام بالبصرة، إلا أنه لم تمضِ سوى مدة قصيرة حتى تدهورت العلاقة بين الشيخ مانع وخليل باشا نظراً لأن الأخير أخذ يمارس سياسة قمعية شديدة ضد الأهالي وهو ما دفع الأشراف والأعيان إلى الطلب من الشيخ مانع الوقوف في وجه تلك السياسة القمعية. فقام الشيخ مانع بوصفه الجندي القدير ذا القوة القاهرة الذي اعتاد خوض غمار المعارك بمحاصرة البصرة في نهاية ١١٠٥هـ/ صيف ١٦٩٤م. وأدرك قبوجي خليل أن نهب المدينة أمر لا مفر منه فأُجبر جنده على الخروج لمواجهة المنتفق. فما كان من الشيخ مانع إلا أن قتلهم جميعاً ودخل المدينة منتصراً حيث هرب منها خليل باشا(٤٨). وبالنتيجة تكون البصرة قد خرجت من أيدي العثمانيين بعد سفك دماء قليلة ومن دون أن يصاب الأهالي بأية خسارة تذكر.

إن انتفاضات المنتفق وحروب الدولة العثمانية الطويلة في أوروبا(١٦٨٥-١٦٩٩م) قد أديا إلى بروز طبقة الأعيان الذين أخذوا يمارسون السلطة في الإدارات المحلية؛ حيث أصبح العديد منهم جامعي للضرائب؛ وفي ذلك يقول جيب وباون Gibb & Bowen: "إن تدهور الأوضاع في الولايات قد أدى إلى صعود فئة من الأهالي المحليين يدعون بالأعيان، وهو ما أضاف مع مرور الوقت مشاكل على الفلاحين". إذ يقول إينالجك المؤرخ العثماني: "كان الأعيان في الولايات بالقرن الثامن عشر أقوى فئة اجتماعية في جميع أنحاء الإمبراطورية". كما أن شريف ماردين يعبر عن ذلك بقوله: "ينطبق مصطلح الأعيان بمعناها الضيق في القرن الثامن عشر على الرجال الذين حملوا الدفاع عن المصالح المحلية ضد جُباة الرسوم والضرائب وفي نهاية المطاف أصبحوا هم أنفسهم جُباة للرسوم والضرائب"(٤٩).

ثالثًا: الاحتلال الإيراني للبصرة١١٠٨- ١١١٣هـ/ ١٦٩٧-١٧٠١م:

عندما احتل الشيخ مانع البصرة في العام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م حكمها بتعقل لمدة ثلاث سنوات تقريبًا، حتى إن المواطنين والأجانب كافة كانوا راضين عن حكمه، إذ كان هناك وفرة في كل شيء في المدينة، وكان بإمكان الشيخ مانع أن يحتفظ بالبصرة لمدة أطول لو لم يتدخل في شؤون أسرة المشعشعين أصحاب السلطة في الحويزة "عربستان"[٥٠]. واتخذ هذا التدخل شكل انحياز إلى السيد علي أحد أفراد أسرة المشعشعين البارزين في نزاعه مع ابن عمه فرج الله والي عربستان[٥١]، حيث قام الشيخ مانع بإرسال قواته إلى الحويزة بقيادة أخيه ووكيله المدعو جعفر، ولكن تلك القوات فشلت في تحقيق انتصار حاسم، إذ اضطرت تلك القوات إلى التفرق في وحدات صغيرة. إن هذا الوضع قد أثر على قوة قبضة الشيخ مانع على البصرة حتى أن أعيان البصرة أنفسهم، وبخاصة شيخ طائفة الرفاعية، قد قاموا بإرسال رسائل إلى علي باشا والي بغداد في العام ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م طالبين منه إرسال حسن باشا الذي كان في السابق والياً للبصرة مع ألف "١٠٠٠" جندي لانتزاع السلطة في البصرة. إلا أن علي باشا المذكور لم يكن له القوة الكافية لتقديم الدعم الكافي لحسن باشا. وفي هذه الأثناء تمرد شيخ عربي يدعى ابن صبيح ونجح في الاستيلاء على قلعة القرنة شمال البصرة[٥٢]. وخلال هذه الأحداث حصل المولى فرج الله والي عربستان على فرمان (أمر) من شاه إيران المدعو سلطان حسين(١٦٩٤ – ١٧٢٢م) يتضمن طرد الشيخ مانع من البصرة. كما أرسل الشاه المذكور أوامر إلى ولاة شوشتر ومناطق أخرى من خوزستان للانضمام إلى المولى فرج الله في حملته ضد البصرة[٥٣]. ففي شوال ١١٠٨هـ/ نيسان ١٦٩٧م زحف المولى فرج الله بقوات كبيرة وحاصر البصرة إلى أن نجح في طرد الشيخ مانع منها[٥٤]. وعندما دخلت قوات المولى فرج الله البصرة قامت بنهبها بطريقة وحشية فأُهدرت دماء كثيرة [٥٥]، وقام المولى فرج الله بعدها بإرسال مفاتيح البصرة إلى الشاه، الذي قام بدوره بعد تردد أربع أشهر بإرسال رستم خان حاملاً تلك المفاتيح إلى السلطان مصطفى الثاني مع هدية معتبرة (١٦٩٥ – ١٧٠٣م)[٥٦]. وسلَّم السلطانُ رستمَ خان رسالة تتضمن آماله في استمرار العلاقات الطيبة بين الدولتين[٥٧]، وفي الوقت نفسه قام السلطان مصطفى بإرسال مبعوث عنه إلى إيران، اسمه محمد بيك يحمل رسالة إلى الشاه الصفوي مع هدايا ثمينة[٥٨]، علماً أن الباب العالي كان في هذه الأثناء متورطًا في عِداء مع القوى الأوروبية لصالح الشاه، ولم يكن قادراً على شن حملة ضد المتمردين في الداخل، وهذا الوضع أتاح للإيرانيين فرصة ليستمر في الاستيلاء على البصرة سنوات أخرى.

على أي حال عين الشاه سلطان حسين المدعو علي مردان زعيم قبيلة الفيلية والياً على البصرة في نهاية العام ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م، وفي الوقت نفسه عاد إلى الحويزة المولى فرج الله. وبتولي علي مردان خان ولاية البصرة ازدهرت الأمور فيها لأنه كان حاكماً عاقلاً وكان معه قوة مدفعية مختارة[٥٩]. إن الشاه الصفوي ربما أخذ يفكر في الاستمرار باحتلال البصرة، لأن العثمانيين كانوا مشغولين في حروبهم مع

القوى الأوروبية، ولم يكن بإمكانهم شن حرب ضد إيران، وتلقى إسماعيل باشا والي بغداد في العام ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م رسالة من حكومة المولى فرج الله تفيد بأن إيران لديها الحق في احتلال البصرة للحفاظ على أمنها ضد تمردات العرب، وأنه إذا ما لم تكن للحكومة العثمانية قدرة على إرسال حملة ترهيبية ضخمة ضد المتمردين العرب، فمن المستحيل الحفاظ على أمن البصرة منهم. فقام إسماعيل باشا بإرسال تقرير إلى الباب العالي يعبر فيه عن شكوكه حول نوايا الإيرانيين وذرائعهم لاحتلال البصرة[٦٠].

ومما يثير الانتباه حقاً أن الشاه حسين قد فتح باب المفاوضات مع القوى الأوروبية للدخول في تحالف معها، إذ يذكر مطران إلياس مطران أصفهان أن سبب اعتزار ملوك الصفويين برئيس أساقفة أنقرة، يرجع إلى ميولهم ودوافعهم التي كانت لديهم في حربهم مع الأتراك. وقد قدموا الدليل على ذلك التوجه منذ أن أظهروا صعوبات في إعادة مدينة البصرة إلى السلطان العثماني، لذا فإن الشاه ميال للدخول في التحالف مع العصبة الأوروبية[٦١] حيث أراد الشاه حسين من هؤلاء أن يرسلوا له بعض الخبراء في المدفعية، والمتفجرات، والتحصينات، وأدوات الحرب الأخرى، إلا أنه لم يتم إبرام أي شيء بهذا الخصوص حتى تاريخ ٢٤ رجب ١١١١هـ/ ٢٦ كانون الأول ١٦٩٩م، في حين أن معاهدة كارلوفيتز قد تم توقيعها بين العثمانيين والقوى الأوروبية[٦٢].

مهما يكن من أمر فقد تم استبدال علي مردان خان الحاكم الصفوي للبصرة في بداية العام ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م بإبراهيم خان الذي تولى حكمها بحذر شديد[٦٣]. إذ إنه في بداية ١١١١هـ/ شباط ١٦٩٩م تقدم الشيخ مانع على رأس قوة كبيرة وحاصر البصرة وطلب من إبراهيم خان خمسمائة "٥٠٠" تومان فوافق الحاكم على ذلك. وفي هذه الأثناء استدعى إبراهيم خان ستة آلاف "٦٠٠٠" رجل من قبائل كوهجيلو Kuhgilu[٦٤] حيث وصلوا إلى البصرة بسرعة للقيام بحراستها. ومع ذلك فإن الشيخ مانع فرض حصاراً اقتصادياً على البصرة حيث منع دخول الحبوب إليها، فشهدت المدينة مجاعة كبيرة لبضعة أشهر مات خلالها عدد من الأشخاص. وقد قام المنتفق في بداية ذي القعدة ١١١١هـ/ نيسان ١٧٠٠م بالهجوم على المدينة وخلال المعارك قُتل الكثير من الإيرانيين ومن المنتفق أيضاً، بما فيهم كهية الشيخ مانع في حين هرب بقية المنتفق. وفي بداية حزيران، عاد المنتفق لمحاصر البصرة واقتحموا المدينة في نهاية ذلك الشهر، بعد أن قُتل العديد من قواتهم، حيث أسر الإيرانيون ستوناً "٦٠" منهم وقطعوا رؤوسهم. وعلى الرغم من انسحاب المنتفق من المدينة، إلا أن سكانها عانوا من المجاعة لمدة طويلة، وأخيراً حصل تحسن طفيف[٦٥] في العام ١١١١هـ/ ١٧٠٠م وتم عزل إبراهيم خان واستبداله بداود خان الذي كان حاكماً لقرية القرنة سابقاً. وحاصر المنتفق البصرة من جديد، حيث عانت المدينة كثيراً من الكوارث كالجوع والخوف، فخشي داود خان من اندلاع التمرد ضده، فكتب على الفور إلى حاكم بندر عباس[٦٦] يطلب منه إرسال القمح والشعير لإغاثة المدينة بأسرع وقت ممكن. فقام حاكم بندر عباس بإرسال سفينة كبيرة، استأجرها من

بعض التجار الأرمن لنقل البضائع من سورات إلى بندر عباس. ولغرض إكمال صورة المأساة التي عانوها، يجب أن نذكر أن إمام مسقط كان متورطًا في نزاع مع التجار الأرمن منذ عدة سنوات. لذا عندما سمع العُمانيون أن سفينة الأرمن قد غادرت إلى البصرة اعتقدوا أنها ستأتي محملة ببضائع أرمنية، وعندما وصلت السفينة في ٢١ نوفمبر إلى مشراق وهي قرية على أطراف البصرة حيث كان يقيم الشيخ مانع الذي أرسل هدايا للقبطان وطلب منه البقاء معه وعدم الانتقال ولكن القبطان رفض ذلك[٦٧]؛ استغل العُمانيون تلك الفوضى في البصرة في ٢٣ كانون الأول واستولوا على سفينة الأرمن المحملة بثروة الراسية قبالة ميناء البصرة، كما استولى العُمانيون على السفينة المحملة بالقمح والشعير في ٦ كانون الثاني ١٧٠١م. ولقد لاحظ داود خان حاكم البصرة ما كان يحدث في الميناء ولكنه لم يقم بأي عمل[٦٨]، إذ إن الخطوة التي قام بها العُمانيون كانت خدمة غير مباشرة للشيخ مانع في مواجهة الإيرانيين ولكن العثمانيين هم من استفادوا من ذلك.

رابعًا: حملة مصطفى باشا دلتبان العسكرية ضد التمرد في البصرة ١١١٢هـ/ ١٧٠١م[٦٩]:

وقعت اتفاقية كارلوفيتز في رجب١١١٢هـ/ ٢٦ كانون الثاني ١٧٠٠م كما وقعت في صفر ١١١١هـ/١٢ تموز ١٧٠٠م معاهدة إسطنبول بين الباب العالي مع خصومه منذ أربعة عشر عاماً. لذلك تعتبر أول اتفاقية بين العثمانيين وعصبة القوى الأوروبية، كما أنها أول اعتراف رسمي من جانب العثمانيين أنفسهم بالهزيمة. إن الوزير الأعظم عمجاه زاده حسين باشا كان قد عمل منذ العام ١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م لتحسين الاقتصاد والإدارة وسعى لتخفيف الضائقة المالية التي كان يعاني منها سكان العراق، ومن المحزن أن معاناة هؤلاء السكان ليس فقط نتيجة انهيار الإدارة المحلية ولكن قبل كل شيء من الحملات العسكرية العديدة في مختلف مناطق العراق، إذ كان من الضروري إرسال تلك الحملات الترهيبية ضد المتمردين من أنحاء العراق التي أدت إلى دمار في اقتصاديات الأرياف، بالإضافة إلى العمل على طرد الإيرانيين من البصرة، وعليه لم يكن بالإمكان إرسال قوات من أوروبا إلى العراق إلا بعد توقيع معاهدة سلام كارلوفيتز. وقد تم تكليف مصطفى باشا دلتبان الذي يتميز بالقسوة وقوة القيادة بمنصب والي بغداد في صفر ١١١٢هـ/ تموز ١٧٠٠م[٧٠] وفي الوقت نفسه قام الباب العالي بإرسال أوامره إلى حكام الموصل وسيواس وشهرزور وديار بكر وحلب ومتصرفية أماسية وقرمان وبيره جك وأمراء العمادية وعنتاب ومرعش[٧١] وتتضمن انضمام قواتهم إلى والي بغداد[٧٢]، بعد أن تم تعيين مصطفى باشا دلتبان قائداً لجميع هذه القوات من الأكراد والتركمان في العراق والعرب، كما أمر الباب العالي أشجي محمد باشا، الذي كان سابقاً قبطاناً في نهر الدانوب ببناء ستين"٦٠" سفينة في بيره جك بالإضافة إلى السفن التي تم بناؤها من قبل باشا بغداد. وما إن اجتمعت تلك القوات في بغداد حتى نشبت أعمال شغب بين جنود الإنكشارية

الذين طالبوا برواتبهم وقاموا بقصف سراي الباشا ونهب الأسواق، فما كان من مصطفى باشا دلتبان إلا ضرب المتمردين بالقوة وقضى على تمردهم(٧٣). وعلى كل حال، انطلقت الحملة العثمانية من بغداد نحو البصرة في شعبان ١١١٢هـ / كانون أول ١٧٠١م عبر نهر دجلة(٧٤). وتتكون هذه الحملة من أكثر من خمسين ألف "٥٠.٠٠٠" رجل بحيث لم يشهد جنوب العراق مثل هذا العدد الكبير من القوات منذ عقدٍ من الزمن(٧٥). وتمركز من القوات العثمانية أكثر من ثلاثين ألف "٣٠.٠٠٠" رجل في بغداد والحلة لحراسة المدينة من كمين متوقع قد يقوم به الخزاعل(٧٦).

وقد أظهر كل من عبد الشاه شيخ قبيلة بني لام، والشيخ مانع شيخ المنتفق، طاعتهما لمصطفى باشا دلتبان(٧٧). وعندما اكتشف الجندُ الصفويون المرابطون بالبصرة الذين يبلغ عددهم ستين ألف "٦٠.٠٠٠" رجل، بأن الجيش العثماني زاحف ضدهم، قاموا بتدمير حوالي ألف "١٠٠٠" منزل في البصرة وفقاً لسياسة الأرض المحروقة(٧٨). وفي جمادى الآخرة ١١١٢هـ/ تشرين الثاني ١٧٠٠م وصل مبعوث عثماني إلى أصفهان للمطالبة من الإيرانيين بعودة البصرة إلى حظيرة الدولة العثمانية(٧٩). فوجد الصفويون أنفسهم أنهم في موقف ضعيف للغاية كي يرفضوا مطالب العثمانيين. وعليه أرسل داود خان مبعوثًا لمصطفى باشا دلتبان قبل وصول الجيش المذكور إلى القرنة، طالباً من القائد العثماني إعطاءه مهلة أربعة أسابيع لكي يتشاور مع حكومته، لكن القائد العثماني رفض ذلك وأصر على أن يتم تسليم البصرة فوراً(٨٠). وصل متسلم علي باشا البصرة في١١١٢هـ/٢٠ آذار ١٧٠١م الذي تم تعيينه والياً عليها، وطلب مفاتيح المدينة من داود خان الذي سلمها له بعد تردد قليل(٨١). وبذلك دخلت القوات العثمانية البصرة بعد بضعة أيام بقيادة مصطفى باشا دلتبان. وتوجه داود خان هو وجنده إلى السفن التي أُعدت لهم في شط العرب لكي ينسحبوا بواسطتها، إلا أن قائدهم داود خان توفي بنوبة قلبية في تلك الساعة(٨٢)، واستقبل أهالي البصرة العثمانيين بقيادة مصطفى باشا دلتبان بترحيب حار بعد أن عانوا كثيراً من العنت نتيجة للأحوال المضطربة في مدينتهم(٨٣). وعادت القوة العثمانية الرئيسة مع قائدها إلى بغداد بعد عشرة أيام، في حين بقي علي باشا في البصرة مع قوات كافية تتمركز في العديد من القلاع مثل القرنة وغيرها(٨٤)، وقد نجحت الحملة العثمانية الكبيرة في إعادة فتح الطريق التجاري المهم ما بين البصرة وحلب، وهيأت لأهالي البصرة المعنيين بالنشاط التجاري فرصة واسعة من الأمن والأمان حيث انتهى احتلال الصفويين للبصرة من دون مواجهة عسكرية مع العثمانيين وعادت العلاقة سلمية بين الدولتين.

خامسًا: حملة دلتبان العسكرية ضد الخزاعل:

سبق أن ذكرنا أن ولايات بغداد وشهروز والبصرة قد شهدت في نهاية القرن السابع عشر ظهور قوة قبيلة الخزاعل تحت قيادة شيخها سلمان والتي تفوقت على غيرها من القبائل في ولاية بغداد. ولهذا فقد

وسع شيخها المذكور سيطرته على المناطق الممتدة من السماوة جنوباً إلى الحلة شمالاً وتم احتلال جميع القرى والبلدات الموجودة في المناطق المذكورة. وكان الشيخ سلمان قد هزم عدة حملات عثمانية قد أرسلت ضده تحت قيادة باشوات بغداد(٨٥)، واستمر في عدم دفع الرسوم لأكثر من عشر سنوات، وهو ما سبب نقصاً شديداً في إيرادات باشوية بغداد(٨٦)، ولا سيما أن الأراضي التي تسيطر عليها قبيلته تُعد من أكثر أراضي العراق خصوبة وشهرةً في إنتاج الحبوب وبخاصة الرز "التمّن" والشعير.

وقد ظهرت في منطقة وسط الفرات ظاهرة جغرافية مثيرة للاهتمام عام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م، حيث تغير مجرى نهر الفرات، فبدلاً من مروره بالرماحية، كما كان يحدث سابقاً، اتخذ له مجرى جديداً بمروره بالحسكة (الديوانية)؛ حيث أطلق على النهر الجديد اسم نهر ذياب. فتحولت مناطق واسعة من الأراضي إلى مستنقعات، وأدغال، وغابات، في حين تحوّل بعض المناطق إلى أراضٍ جرداء قاحلة. فاستفاد الخزاعل من وقوع أراضيهم على امتداد نهر ذياب، فأصبحوا في موقع قوي(٨٧). حيث أخضع الشيخ سلمان معظم العشائر في هذه المناطق لسلطته، مثل بنوحميد، وجحيش، وغزية وبني عمير، وشمّر. إذ يقول السويدي إن الشيخ سلمان المذكور كوَّن جيشاً محترفاً قُدر عدد أفراده بنحو عشرة آلاف "١٠.٠٠٠" رجل، وأعلن أنه سيعمل على الاستقلال بالعراق عن الباب العالي(٨٨). أما مصطفى باشا دلتبان وبعد عودته إلى بغداد من حملته ضد البصرة، بدأ يحضر لحملة عقابية ضد الشيخ سلمان الخزعلي، وقبل قيامه بالعمل ضده تلقى باشا بغداد أمراً غريباً من الباب العالي ينص على إزالة دار الضيافة والكنيسة العائدة للكابوشيين لأن الأرمن واليعاقبة قد شكوا إلى الباب العالي بأن جميع المسيحيين قد اعتنقوا المذهب الكاثوليكي، وبموجب هذا الأمر قام باشا بغداد في ربيع الثاني ١١١٣هـ/ ٢٣ أيلول ١٧٠١م يرافقه القاضي والمفتي وعدد من الجند بالمسيرة إلى هذه المباني وهدمها. فكانت نهاية مؤسسة الكابوشيين في بغداد التي كان قد أنشأت في العام ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م(٨٩).

وقد تم حشد أكثر من ستين ألف "٦٠.٠٠٠" رجل من ولايات عدة في ربيع الأول ١١١٣هـ/ آب ١٧٠١م، حيث تحركت من بغداد إلى الحلة تحت قيادة مصطفى باشا دلتبان. وقد نصب الشيخ سلمان الخزعلي كميناً لهذه القوات حين وصلوا إلى نهر ذياب حيث قطع الطريق عليهم، وبعد معركة ضارية بينهما تراجع الخزاعل إلى الأهوار وتحصنوا في غاباتها وأدغالها، في الوقت الذي قامت فيه القوات العثمانية بسياسة القمع والتنكيل ضد القرويين في منطقة الفرات الأوسط(٩٠). وكانت خسائر القبائل في هذه المعارك كبيرة جدًا، إذ إن الرحالة الفرنسي أوتر Otter الذي مرَّ بالمنطقة في العام ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م، قد رأى بعينه هرماً هائلاً على ارتفاع كبير مكوناً من رؤوس آلاف الفلاحين الذين قطع العثمانيون رؤوسهم(٩١). على أي حال، فإن الهدف الثاني للحملة كان إغلاق مجرى نهر ذياب، بالإضافة إلى قمع تمرد الخزاعل، إذ إن هذا المشروع سيؤدي إلى إضعاف سلطة الشيخ سلمان وأتباعه الذين كانوا قد

استخدموا المستنقعات لكي يحتموا بها من أي هجوم من العثمانيين، أما الهدف الثالث فهو لري الأراضي القاحلة من أجل زيادة إنتاج الحبوب. وعملت القوات العثمانية لمدة تقارب الخمسين "٥٠" يوماً على حفر مجرى جديد لنهر الفرات. وقد تعرض خلالها الجنود والقادة إلى الإعياء الشديد لصعوبة هذا العمل، والاستياء من تدني أجورهم، فضلاً عن بقائهم بعيداً عن أهلهم وأرضهم طوال فترة قاربت السنة. وفي ذو القعدة ١١١٣هـ / مارس ١٧٠٢م غادر الجنود مواقع عملهم الذين أجبروا على البقاء فيها، وعادوا إلى بغداد وهو ما أدى إلى فشل خطة المشروع تماماً. إذ قام الشيخ سلمان بشن هجوم مفاجئ على موقعهم وأجبرهم على التخلي عن منطقة الفرات الأوسط[٩٢]. على أي حال، تم تعيين مصطفى باشا دلتبان في صفر من العام ١١١٤هـ/ تموز ١٧٠٢م وزيراً أعظم[٩٣]، واخُتير يوسف باشا ليحل محله والياً لبغداد وقائداً للجيش لمحاربة الخزاعل.

واستلم يوسف باشا أمراً من الباب العالي يتضمن بيع أراضي الميري –أي الدولة– وتخفيض الرسوم والضرائب على البعض، إضافة إلى تحديد عدد الجنود الإنكشارية في بغداد[٩٤]. وبحسب قول نظمي زادة، فإن سلمان شيخ الخزاعل وصلته أخبار بأن جيشاً ضخماً جديداً سوف يحتشد في بغداد قادماً من ولايات ديار بكر والموصل وقرمان وسوف يرسل ضده، فما كان من المذكور إلا أن أرسل والده وابنه إلى بغداد رهائن ليظهر طاعته واستعداده لدفع رسوم الميري بانتظام كل عام[٩٥]. وعليه عادت قوات الولايات إلى مناطقها بعد تصرفات الأخيرة للشيخ سلمان الخزعلي.

سادسًا: أحوال ولاية البصرة ما بين ١١١٣-١١١٦هـ/ ١٧٠١-١٧٠٤م:

لعل من الواضح الجلي أن حملة مصطفى باشا دلتبان العسكرية ضد البصرة لم تنجح في وضع حد للاضطرابات القبلية وكسر شوكتها. إذ لم يكن الأمر يتعلق بالمنتفق فحسب، الذين استمروا في إيقاع ضرر كبير في النشاط التجاري، بل إن الأمر يتعلق أيضاً بعرب الحويزة، فقد هاجم المولى فرج الله وبرفقة عرب عشر سفن تحمل البضائع إلى بغداد ونهبها وذلك في نهاية ذي القعدة ١١١٣هـ/ أبريل ١٧٠٢م[٩٦]. وفي هذا الصدد يمكننا أن نذكر معلومات تتعلق بنشاط البصرة التجاري، ففي العام ١٠١١هـ/ ١٦٩٩م احتجز في هذا التاريخ قائد الأسطول البرتغالي جميع السفن التابعة لتجار البصرة، وأصر على أنه لن يفرج عنها ما لم يدفعوا مبالغ مالية. فقام هؤلاء التجار بدفع خمسة آلاف وخمسمائة "٥.٥٠٠" سكودا Scudi سنوياً للأسطول البرتغالي إضافة لتسليم حصان واحد، واثنين سكوين Sequins من عملة البندقية للوكيل، وآخر للراهب المقيم في كونك[٩٧]. ومما يستحق الذكر أن خليل باشا كان قد اضطر لعقد اتفاق بينه وبين البرتغاليين في١٠١١هـ/ ١٦٩٩م من دون الحصول على موافقة الباب العالي. وعندما تلقى علي باشا والي البصرة في ربيع الأول ١١١٣هـ/ آب ١٧٠١م رسالة من قائد السفينة الحربية البرتغالية في الخليج يطالبه

بتنفيذ الاتفاقية القديمة بينهما أو إبرام معاهدة صداقة جديدة؛ قدمت سفينة حربية برتغالية من كونك إلى البصرة حاملة تلك الرسالة، واسترداد حوالي خمسة عشر ألف "١٥.٠٠٠" سكودا فضية و٣ خيول المستحقة لهم وفقاً للاتفاقية مع خليل باشا في العام ١٠١١هـ/ ١٦٩٩م، التي بموجبها يقوم البرتغاليون بحراسة السفن القادمة من الهند في كل عام أثناء هبوب الرياح الموسمية[٩٨]، وإن السنوات الثلاث الماضية لم يحصل البرتغاليون على شيء لأن البصرة كانت تحت حكم الصفويين، ولذلك جاءوا الآن يطالبون بهذا المبلغ. ومع ذلك فقد أجاب علي باشا والي البصرة القائد البرتغالي بالقول إن ما عمله خليل باشا لم يكن مسموحاً به لأن المذكور كان متمرداً على السلطان[٩٩]، وأن الامتيازات التي منحها للبرتغاليين غير نظامية ولم تحظ بموافقة الباب العالي[١٠٠]. على أية حال، انسحبت السفن الحربية البرتغالية إلى قاعدتها في كونك، وهي المرة الأخيرة التي يرسل بها البرتغاليون سفينة حربية إلى شط العرب للمطالبة بحقوقهم. ومع ذلك، ومن أجل إجبار الباشا وتجار البصرة، سعى البرتغاليون للقيام بحملهم على دفع الرسوم لأسطولهم، لكن جهودهم باءت بالفشل تماما، ومع ذلك، فإن تحركات البرتغاليين قد سببت ركوداً في تجارة البصرة.

على أي حال، كان علي باشا والياً حكيماً ومتزناً بعيداً عن الأهواء المؤدية إلى الاستبداد البغيض[١٠١]، فعمل على التقليل من تأثير تسلط البرتغاليين على تجارة البصرة عن طريق التسامح مع غير المسلمين الذين يمثلون الشريحة الرئيسة من التجار في البصرة. إذ خفض علي باشا الخراج عنهم (الضريبة) المفروضة عادةً على الذميين(غير المسلمين). ووفقاً لما ذكره الأب جون أثناسيوس أنه بالرغم من معارضة القاضي الشرعي لهذا الإجراء[١٠٢]؛ فقد وافق الباشا أيضاً على أن تتولى كنيسة الكرمليين إدارة أموال غير المسلمين الذين يموتون أثناء مرورهم بولاية البصرة[١٠٣]. وفضلاً عن ذلك، بذل علي باشا قصارى جهده لمنع هدم الخان والكنيسة التي تعود للكرمليين، على الرغم من تلقيه أوامر بذلك من الباب العالي[١٠٤]؛ لأنه كان يرى وجودهم مفيداً جداً للنشاط التجاري مع الأوروبيين في البصرة. كما وافق علي باشا نفسه على أن يدفع الإنجليز رسوماً عن بضائعهم فقط ٣% بدلاً من ٥-٦% التي كان معمولاً بها حتى ذلك الحين، بعد أن تلقى طلباً من مدير شركة الهند الشرقية في ربيع الثاني ١١١٤هـ/ أيلول ١٧٠٢م[١٠٥] يطالبه بذلك، ومع هذا فإن أسطول البرتغاليين استمر في الخليج في إعاقة تجارة البصرة، فكان سبباً في ركودها.

وفضلا عن ذلك لا يمكن استبعاد المشاكل القبلية في البصرة التي لم تتوقف فيها عن خلق المتاعب، وربما كانت جميع المسائل الأخرى هي سبب ناجم عن تفاقمها. إذ وصل أشجي محمد باشي إلى البصرة في رجب١١١٤هـ/ كانون الأول ١٧٠٢م الذي كان قد شارك في حملة مصطفى باشا دلتبان ضد الخزاعل بحوالي ٤٤ سفينة حربية[١٠٦]. وبصفته قبطان شط العرب، أقام في المناوي قاعدة أسطوله، سار بعدها أشجي محمد باشي في ذي الحجة ١١١٤/ كانون الثاني ١٧٠٣م بأسطوله ضد قبيلة المنتفق، ثم عاد هذا

الأسطول في بداية نيسان بعد هزم المنتفق وفقاً لقول الأب أثناسيوس الذين ألحقوا ضرراً كبيراً في البصرة[١٠٧]. ففي نهاية ذي الحجة١١١٤هـ/ نيسان ١٧٠٣م انتفضت المنتفق وأحاطوا البصرة لينهبوا ويدمروا كل ما وجدوه، فانطلق أشجي محمد قبطان باشي مع أسطوله لمواجهتهم، ووفقاً لقول الكرمليين فإنه واجه المنتفق وهزمهم، على الرغم من مقتل العديد من الأتراك[١٠٨]. وأخبر أشجي محمد باشي الباب العالي بالوضع في الخليج بعامة وفي ولاية البصرة بخاصة، وأفاد أنه إذا ما منحوه باشوية البصرة بالإضافة إلى منصبه قبطان باشا شط العرب، فإنه سوف يضمن لهم قمع العرب، بل مهاجمة البرتغاليين الذين أضروا بتجارة البصرة، وأن مطالبه هذه كانت على وفق الشروط التالية: أولاً: منحه السلطة لتجنيد عدد من اللاوند من بين المسيحيين الأوربيين ولإصلاح عشرين سفينة تدعى فرقاطة التي يتم سحبها إلى البر، وتنضم إلى أربعين فرقاطة جديدة لاستعمالها، ثانياً: زيادة عدد فرسان اللاوند إلى سبعمائة "٧٠٠" رجل، ثالثًا: أن يدفع لهم أجوراً من سليانة البصرة "السنوية". وأن يزودهم الباب العالي بالبارود والمدافع والأخشاب والمواد الأخرى التي تحتاجها السفن[١٠٩]. وقد وافق الباب العالي على مطالب أشجي محمد باشي حيث أرسل الأوامر إلى عدة ولايات لإرسال الذخيرة والأخشاب إلى البصرة لبناء عدد من السفن الحربية[١١٠]. كما أرسل الباب العالي إلى البصرة إبراهيم أفندي للإشراف على هذه الاستعدادات[١١١].

تلقى أشجي محمد باشي أخباراً سارة أثناء تصديه للمنتفق إذ تم تعيينه والياً للبصرة وابن أخيه محمد باشا قبطان باشا لأسطول شط العرب. على أي حال، عاد أشجي محمد باشي مع أسطوله في رمضان ١١١٤هـ/ ٢١ أيلول ١٧٠٣م بعذر وهو أن الجند لم يستمروا في مقاتلة المنتفق الذين كانوا يُلحقون أضراراً كبيرة بهم، فضلًا عن أن هؤلاء الجند لم يتلقوا رواتبهم منذ فترة[١١٢]. وقد تولى أشجي محمد باشي ولاية البصرة في ٨ شوال/ تشرين الأول في حين غادرها علي باشا، بعد أن تم تعيينه والياً لبغداد، وكادت الأمور أن تتطور إلى حرب بين الباشوات[١١٣]، إذ إن في هذا الوقت تنازل السلطان مصطفى عن العرش نتيجة لتمرد جيشه لصالح أخيه أحمد الثالث(١٧٠٣- ١٧٣٠م)[١١٤]. وقد نتج عن ذلك صدور تعليمات جديدة من الباب العالي إلى جميع حكام الولايات بأن يبقوا في مناصبهم حتى وصول رسائل بتعيينات جديدة، وبذلك توقفت تلك التنقلات وانتهت الأمور بشكل هادئ، إذ اكتشف علي باشا أن تعيينه لولاية بغداد قد تم تأكيده[١١٥]. واتبع أشجي محمد باشي سياسة قمعية قاسية، بعيدة عن الرحمة تجاه أهالي البصرة، ففرض عليهم رسوماً ثقيلة لملء خزائنه الخاوية وهو ما سبب تمرد المنتفق ضد هذا الباشا ولا سيما بعد انتشار الشكاوى ضده في أنحاء المدينة[١١٦]، ومن المفارقات استقبال أهالي البصرة وفاة أشجي محمد باشي بترحاب حار في ربيع الأول ١١١٥هـ/ ٢٥ يوليو ١٧٠٣م بعد أن حكمهم بالنار والحديد لمدة حوالي أربعة أشهر[١١٧]. واختار أعيان البصرة ابن أخيه محمد بك على أن يحل محله والذي كان قبطاناً للأسطول إلى أن يصل حاكم جديد، وفي هذه الأثناء، طلبت الأعيان أنفسهم من محمد بك القيام بإعدام

أربعة من المسؤولين في عهد الباشا المتوفى بتهمة الأفعال الشنيعة التي ارتكبوها، فوافق محمد بك على إعدامهم شنقاً[١١٨].

دخل العراق في ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م مرحلة جديدة من تاريخه إذ تم تعيين والي ديار بكر أيوبي حسن باشا والياً لبغداد، وأعيد تعيين علي باشا والياً للبصرة، الذي استلم منصبه في ٢١ أيلول[١١٩]، وقبل أن يتولى منصبه أرسلت أوامر من بغداد إلى محمد بك تُبلغ فيه بإجراء تغييرات في الأسطول بحيث يتم الاحتفاظ بعدد ١٥ طرادًا لأغراض الحماية فقط، كما أن علي باشا هو الآخر قد تلقى أوامر من الباب العالي بتقليص مصاريف الأسطول المبالغ فيها؛ وهو ما ولد الحزن والكآبة لدى الجند، إذ بقوا بدون أجور في أرض غريبة، بخاصة أن معظم هؤلاء الجند من سكان إسطنبول[١٢٠]. وإن موت أشجي محمد باش، قد تلاشى معه قدرة العثمانيين في العمل ضد الأسطول البرتغالي في الخليج العربي.

ضميمة:

مجمل الحملة العسكرية لنهر ذياب[١٢١]
في تقرير عثماني

إن الباعث لتلك الحملة العسكرية أن نهر الفرات يُعد من الأنهار الكبيرة المشهورة ويشبه نهر جيحون. وينبع هذا النهر في الأساس من أرضروم وينحدر إلى الشرق ثم يميل إلى الجنوب عند قصبة الحلة ثم يميل إلى الجنوب ويقترب من بغداد ليمر بعدها بقصبة الحلة، ومن ثم بنواحي وقصبات كل من الرماحية، وخالد، وكبشة، والسماوة وبني مالك، والحسكة، وعرجة التي تعتبر تابعة لبغداد ويمر منها إلى جزائر البصرة ليلتقي بنهر دجلة في القرنة، ثم بعدها بالبصرة ويصب في بحر الهند "الخليج العربي". وكان يجري على النحو المذكور أعلاه منذ قديم الزمان. إلا أنه منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً أي في حدود ١١١٣هـ (١٧٠١م) لم يتقيد بالمرور بذلك المجرى، بل تشعب عن نهر الفرات نهر ذياب غرب قصبة الرماحية المذكورة آنفاً بمسافة أربع ساعات عنها. وكان يجري النهر بشدة وعنف مخترقاً ناحية الحسكة، ولم يظهر قبل ذلك بهذه الدرجة من السعة، ولم يهتم ولاة بغداد بالأمر عندما امتلأ المجرى القديم للنهر وانسد، إذ رأوا أن لا ضرر فيه، فلم يهتموا بتدارك الأمر وبناء السد. ويوماً بعد يوم مال النهر المذكور (نهر ذياب) نحو نهر الفرات بالكلية، وفيما كان الأمر سهلاً يسيراً صار عسيراً، وبينما كان العمل سهلاً صار الآن معقداً، فبعد أن انسد المجرى القديم للنهر تكونت الأهوار والمستنقعات والجزر وصار النهر يصب في الأهوار المذكورة. وقد ظهر أيضاً هور يشبه النهر يسمى هور سلامة، ولم يكن هذا الهور يخلو من الأمواج أو العواصف الشديدة. ومع اتساع هذا الهور إلى حد كبير لم تعد السفن وأصحاب الحرف والتجار قادرين على سلوكه، إضافة إلى أن الطرق صارت مقطوعة. وبعد أن تجمع في هور سلامة المذكور، أخذ النهر

يجري من ناحية السماوة ويعود إلى المجرى القديم في طرف العرجة.

ولهذا السبب فإن بعض النواحي والقصبات الواقعة على النهر المذكور قد أشرفت على الغرق بسبب زيادة المياه وبعضها الآخر أشرف على الخراب والجفاف ولم تعد تنتج زرعاً ولا محصولاً بسبب انقطاع تلك المياه، وعلاوة على ذلك صارت تلك الأهوار مأوى وملاذًا لأصحاب السوابق من الأشرار. والواقع أن المال الحكومي والرسوم التي كانت في زيادة مستمرة سنة بعد سنة قد أدى بهؤلاء الرعايا إلى خلع طاعتهم للسلطة وانتهزوا الفرصة للقيام بأعمال السلب والنهب وقطع الطرق والامتناع عن دفع الرسوم الشرعية وصاروا لا يقبلون بوجود والٍ عليهم. والواقع أن المتمردين هؤلاء قد بلغوا الغاية في العناد والشقاق، وقد أخذ مشايخ تلك النواحي يتسلطون على الضعفاء والمساكين من الرعايا الذين فقدوا الراحة بسبب زيادة الإتاوات والطمع الشديد لهؤلاء المتنفذين الذين لم يراعوا حرمة الشيخ الكبير أو الرجل الضعيف وتجرؤوا على أخذ الأعشار ورفضوا أداء الرسوم الشرعية.

كان رئيس تلك الجماعة وشيطانهم رجل يسمى سلمان بن عباس الخزعلي قام باحتلال المقاطعات الواقعة في تلك الناحية مثل الرماحية، وخالد، وكبشة، والحسكة وبني مالك ونهر الشاه حتى استولوا على قصبة الإمام علي رضي الله تعالى عنه. ونتيجة ذلك وُجهت قوة من العساكر من قبل ولاة بغداد مرتين أو ثلاث لمحاربة هذا الشقي لزيادة فساده وتمكنه من الأرض، وهو ما أدى إلى انتشار الفساد بين الطوائف وقبائل العرب الآخرين. انتهز شيخ المنتفق مانع رجل الفساد تلك الفرصة ورفع لواء العناد والشقاق وأشعل نار الفتنة في أطراف البصرة. كما قام شخص آخر يسمى عباس العُميري بالإغارة والنهب والتخريب في مقاطعات عرجة والسماوة، وقرى واقعة بين القدس وشط النيل والمحاويل والباشية وعبادت والسيب والصنية الواقعة بين النهرين، واحتل مقاطعة الجوازر واستقر فيها. كما قامت أعراب "شمر" بالإغارة على قرى الناصرية والجُديدة والمسيّب والإسكندرية وجلبية والفلوجة، الواقعة بين الشطين وخربوها ونهبوها. وقام سلمان الخزعلي المذكور بتشتيت شمل رعايا تلك القرى حتى قصبة الحلة ونقل أهلها طواعية أو جبراً إلى ناحيته وهو ما أدى إلى زيادة إنتاج الزراعة في تلك المنطقة. وعلى هذا النحو اشتعلت الفتن والفساد وزاد الهرج والمرج. وفي كل جهة ظهر من يطالب بالاستقلال ويرى أحقيته بالحكم. ولم يكتف سلمان الخزعلي المذكور بذلك، بل قام بتجميع أجناس الأعراب ومحاصرة قصبة الحلة وحاول إخضاعها والتغلب عليها، إلا أن انكشارية السلطان الذين تم تعبئتهم وإرسالهم من بغداد إلى القصبة المذكورة لنجدتها نجحوا بمعاونة الأهالي وحصانة الأسوار التي تحمي القصبة من طرد ودفع الشقي ورده خائباً صفر اليدين.

في هذه الأيام قام أهالي قصبة الإمام علي كرم الله وجهه بإصلاح قلاعهم وتجديدها لكي تحميهم من أعراب البادية، والواقع أن المواقع بين بغداد وضواحيها كانت في السابق عامرة ويكثر فيها الخدم والحراس والعاملون، وكانت آمنة لأبناء السبيل. إلا أنه تشتت شمل القائمين بها ولحق الخراب في تلك الصحاري

والبوادي وأصبحت مرتعاً لسنابك خيل هؤلاء اللصوص. وقام العربان الأشقياء بقطع الطرق وجعلها غير آمنة واضطر المارون وأبناء السبيل إلى إعطاء هؤلاء العربان قدراً معلوماً من المال، ومن لم يدفع من أبناء السبيل هذا المقدار من الأتاوة، لا يمكن لقوافلهم في الذهاب والإياب. كانت هذه الأحوال قبل فتح البصرة، أما بعد فتحها –ولله الحمد والمنة– قُيدت وصُفدت أيادي العربان اللصوص، وملأ الخوف والرُّعب قلوبهم. أما المسافرون في الطرق فقد تمتعوا بالسكينة والهدوء وأمن أبناء السبيل على أنفسهم.

وكان سلمان بن عباس الخزعلي قد طرد أهالي قصبة النجف والحاكم الذي كان بها قهراً وجبراً واستولى على القصبة المذكورة لنفسه. أما عربان شمر الذين تسلطوا على قصبة كربلاء وأخذوا البساتين ومزارع النخيل فيها غصباً، فإن أهل القصبة احتشدوا وحاولوا طرد الشقي المذكور قدر الاستطاعة. وبقي نهر ذياب والنواحي والمقاطعات المذكورة على حالها، ولهذا السبب نقص المال الميري (الضرائب) وعلوفة الجنود (الخدمة) العبيد نقصاً شديداً. وقد قدم الجند السباهية –الفرسان– والسلاحدارية المكلفين بالحملة العسكرية على البصرة من قِبَل الدولة العلية مع رواتب لسنة كاملة ومؤن كبيرة. وإن عدم مجيء علوفة ومؤن للسنة الجديدة قد أدى إلى تجمع هؤلاء العسكر وأخرجوا الكتخدا وسائر الضباط مُكرهين وعادوا إلى نواحيهم وذلك أول شهر جمادى الأولى بدون إذن. وقد تم عرض أحوال الأعراب ونهر ذياب مرة أخرى على الركاب الهمايوني ومن ثم إيضاح حال النظام وكل الأحداث على وجه التفصيل.

تعيين محافظ بغداد قائدًا عامًا لفتح قلاع البصرة:

أرسل السلطان خطاباً لمحافظ بغداد يقدر خدماته ويمنحه فراء السمور وخلعة من الاستبرق وسيفاً مرصعاً وعيناً لإيصال تلك العواطف السلطانية وهو مير أخور الثاني(أمير الإصطبل) السلطاني، الذي وصل على جناح السرعة إلى بغداد في بدايات السنة المذكورة في ربيع الأول واستقبل بغاية الحفاوة والإكرام. وفي المرسوم السلطاني الميمون يذكر المساعي المشكورة لخدمات الوزير، وأُسند إليه تأديب العربان البغاة والتنكيل بهم وإعادة النظام إلى حالته السابقة، وإقامة السد للنهر المذكور. ولأجل إتمام هذا الأمر تم صرف مقدار من خزائن الدولة لدعم الحملة العسكرية وأمر كل من الوزير جليل القدر عبدي باشا محافظ كوتاهية والوزير المحترم يوسف باشا محافظ ديار بكر ومحافظ مدينة شهرزور يوسف باشا ومحافظ الموصل الوزير المكرم إبراهيم باشا بالتحرك ومعهم جميع جندهم. كما أُمر علي باشا رئيس كوي – سنجق– التابعة لولاية شهرزور وجنود الإنكشارية السلطانية الموجودون في محافظة بغداد بالتحرك بكاملهم مع الوزير السردار المشار إليه، وأُصدر فرمان إلى السيد المشار إليه برعاية هذا الأمر وتقديم الخدمة اللازمة شرعاً للوزير المشار إليه في إحضار المستلزمات المطلوبة والضرورية لبناء السد. ومن أجل الأعمدة عمل العربان في قصبة الحلة على إحضار ١٢.٠٠٠ ألف خشبة من الأخشاب المتينة من أشجار

التوت والنخيل. كما عمل آلاف من الحبال من سعف النخيل وآلاف من الزنابيل من أجل إنزال هذا الصندوق عظيم الحجم. ومن أجل السفن المسماة "أجق"، ومن أجل إحكام الأوتاد وإحضار آلات الدق والحفر المسماة "شاه مردان" عملوا لمدة أربعة أشهر، كما جهزوا أواني ضخمة لإذابة الزفت، وأُنشئت محال للنجارين وأماكن للحدادين، وقد كانوا بانتظار قدوم الوزراء العظام والعساكر المنصورة.

وصل الخبر إلى سلمان الخزعلي ووالده عباس بما مرَّ ذكره فأثاروا الفتنة والفساد وأشعلوا نار العناد في طرف النهر المذكور. ولما كانت الدعوة إلى طريق الانقياد والطاعة مما يقتضيه الدين والدولة، وظهر أنه من المناسب والمعقول كتابة خطابات تشتمل على الترهيب والترغيب والنصح والإرشاد، فقد أرسل الوزير المشار إليه خطاباً إلى سلمان الخزعلي باللغة العربية تضمن فيه النصح والإرشاد ودعاه إلى طريق الهداية قال فيه: "إلى قدوة العشائر عباس الخزعلي وولده سلمان، لقد كنتم السبب في الاضطرابات التي ظهرت في أطراف البصرة وبغداد منذ خمسة عشر عاماً، وقد أوردتم قبائل وعشائر الأعراب المنافقين التابعين لأهواء أنفسهم موارد الهلاك وقد دفعتم بهم في دروب الحيرة والضلال، وعندما تحرك هؤلاء في البصرة بالفساد والتسلط على الرعايا الأبرياء وتجرأتم على حكومة الولاية، وعندما وصلت أخبار هذا الأمر إلى مسامع سلطاننا المعظم ملك الأرض والبحار ذي المهابة والشوكة خلد الله ملكه إلى يوم الدين؛ كُلف الوزراء ومير ميران الأكرم (أمير الأمراء) ومعه جمهرة من عسكر الإسلام وجنده لاستئصال شأفة هؤلاء الأشرار وتخليص الولاية السلطانية من عنادهم وتصلبهم، وأن يقوموا بتأديب هؤلاء المصرّين على العناد وكسر أنوفهم وتفريق شملهم. أما من تاب وأناب وسلك طريق الهداية والرشاد ورجع عن طريق البغي والفساد، وظهر صدق نيته وحسن طاعته، فسوف يتجنب سفك الدماء في هذه السنة المباركة ولن نؤاخذه أو نحاسبه عن هذه الأفكار الواهية والحركات الباغية، ونحن ولله الحمد والمنة شفاعتنا مقبولة عند سلطان الإسلام.

وصل هذا الفرمان السلطاني مع مقدار من الجند إلى ولاية البصرة، وتم تكليف العبد الفقير بمنع الاعتداء على حمى السلطان، وقد أُمر العسكر السلطاني بدفع البغاة والعصاة وإعادة الأعراب إلى جادة الصواب. وإن شاء الله عما قريب في أوائل الخريف فسوف يتجمع هؤلاء الجند ويحتشدون في بغداد وبعد إكمال الاستعداد سوف يتوجهون إلى تلك النواحي بلا شك. ولكن يلزم شرعاً وقانوناً أن نرسل إليكم وأن نستعلم عن حالكم ونستخبر عن أمركم ورأيكم. والواقع أن الدولة العلية قد عهدت إلى ذمتنا، أولاً: منصب دار السلام، ومنذ ذلك أوكل إلينا تدبير أمور الجمهور منذ عام ونصف وإلى الآن، فما السبب في أنكم لم تعلمونا بحالكم ووضعكم وخبركم. ثانياً: من ظلم وأخذ غصباً من المقاطعات السلطانية وتسلط على القرى والقصبات السلطانية وقبض على الأعشار والضرائب الشرعية الخاصة ببيت مال المسلمين واستحلها وصرفها لنفسه بلا وجه ولا سند، فلو كنتم تؤمنون بالآية الكريمة:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ لأدركتم أن هذا الوضع وذلك المسلك مناف لإقراركم بتلك الآية وإيمانكم بها ويجعلكم كأشباه الأنعام.

والواقع أن عدم الاعتراف بأولي الأمر يوجب علينا قطع رقابكم ويدخلكم في زمرة البغاة والجهلة نقلاً وعقلاً، ويوجب على جماعة المؤمنين إزالتكم ومحوكم من وجه الأرض، وإذا لم تعقلوا وتفهموا هذا الأمر، وإذا لم يكن لديكم كلام آخر أو عذر، وإذا لم تعلمونا به فسوف تكون سبباً للقطيعة والوحشة. وإذا لم تعلمونا فسوف يأتي إليكم آلاف مؤلفة براً وبحراً من البلاد المعظمة الواضعين رقابهم تحت إمرة السلطان المنفذين لرغبته. وسوف يكون من الوهم الذميم والفكر الباطل أن تظن هذه الشرذمة القليلة الضعيفة والجماعة الذميمة، أنها تستطيع المقاومة أمام سلطاننا–ظل الله الغازي– في سبيل الله ناصر عباد الله الحافظ لبلاد الله والمنصورة بإذن الله تعالى والتي يبلغ عددها قطرات الأمطار وحبات الرمال والتي لن يعجزها أحد بعون الله تعالى. وليكن معلوماً مرة أخرى أن من يسلك طريق التوبة والطاعة وتخلص نيته وينقاد إلى الطريق المستقيم ويتمسك بالعروة الوثقى فسوف نشفع له عند العتبات السلطانية بالرحمة والرأفة، وسوف تكون توبته مقبولة، وسوف يُغض الطرف عن جرمه وعما اقترفت يداه. ولكن من يلزم طريق العناد وينهمك في طريق الضلال، فسوف يلقى جزاءه حسب ما ينص الفرمان السلطاني الصادر. وليعلم الجميع أن من خالف هذه الدولة منذ أن ظهرت منذ خمسمائة أو ستمائة عام وسار على هواه فقد احترق وانتهى في يوم أو يومين، ومن ركب مركب الهوى فقد غرق به بعد رحلة أو رحلتين. وبعد ذلك تكون عاقبة حاله خُسراً وهذا الأمر يلاحظه العقلاء، ويتدبره الحكماء.

واعلم أنه من تدخل في أخذ أعشار ورسوم(ضرائب) بيت المال بلا عذر، ولا وجه حق فقد سلك طريقًا يخالف طريق الشريعة وطريق الحقيقة، فلو كان لديكم عذر وإجابة عن سبب الوحشية والقطيعة فلماذا لا تعلمونا به سريعاً وعاجلاً حتى تنجوا بأنفسكم، وسوف يكون هذا الحل دواء لآلامكم، وسوف يساعدكم المأوى والسكن على الراحة، وإلا نعوذ بالله، فعندما يقع على أحدكم غضب السلطان فسوف يصبح الحجر والمدر ووحوش البحر والبر وحتى الطير على الشجر أعداءكم، ولن يكون في الإمكان إنقاذ أرواحكم وأولادكم وأنسابكم، ومن نصح فما قصر ومن أنذر فقد أعذر، ولا جرم أن قبول هذه النصيحة الظاهرة ستوصلكم إلى بر السلامة، وسوف يكون فيها كل الراحة لكم. فإذا أسلمتم وانقادت أنفسكم وتركتم طريق البغي والفساد فيها ونعم ذلك، وإلا فيلزم أن تعلمونا بما في ضميركم وتوضحوا مرادكم وطلبكم ونحن مكلفون أيضاً بتنفيذ أمر السلطان وإنفاذ حكمه واجب الطاعة والاتباع والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وأنه المقصد والغاية وبه الكفاية". وحينما تم تحرير فرمان الوزير على هذا النحو وأرسل للمذكور فإن عباس هذا لم يرد جواباً وابنه سلمان أيضاً لم يكتب شيئاً مناسباً للحال. اللهم إلا أن هذا المغرور والجاهل قدر بكلمات هذيان تافهة بما جعله يستحق العتاب والعذاب.

إعداد الأدوات اللازمة للحملة:

في البداية قام محافظ الموصل الوزير المكرم إبراهيم باشا مع عساكر الولاية بضرب خيام النصر في صحراء بغداد في أواسط جمادى الأولى في تلك السنة المذكورة. وفي يوم الخميس الموافق الخامس عشر جماد الآخرة السادس من تشرين الثاني قام قائد الجيش أيضاً بالتحرك والنزول في الجهة المقابلة لبغداد، وعقب ذلك قاموا أنفسهم بالنزول في محيط المعسكر الذي شُيد في ذلك المحل. كذلك قام رئيس الجند، وفيلق الإنكشارية السلطانية الشجعان بالالتحاق بهم في ذلك المكان المذكور.

كرم الوزير الضباط الكبار بمنحهم خلع التشريفات وبعد ذلك جاء محافظ شهرزور، والوزير المحترم يوسف باشا، ومحافظ ديار بكر الوزير المكرم يوسف باشا أو محافظ كوتاهية الوزير عبدي باشا وكل الأمراء والزعماء وأصحاب التيمارات مع عساكر المشاة والفرسان في كامل هيأتهم وزينتهم. وعندما التقوا مع حضرة السردار كرمهم بإلباس الوزراء الكبار فراء السّمور، أما الأمراء وقادة الجند فأنعم عليهم بالخلع الفاخرة.

وقد جاء بعد ذلك علي باشا رئيس كوى سنجق، والأمراء والزعماء التابعون لبغداد مع مجموعة العسكر، وحينما تم وصولهم إلى مكان تجمع القوات قام محافظ ديار بكر بتعيين الوزير يوسف باشا في مقدمة الجيش، وعلي باشا رئيس كوى سنجق في مؤخرة الجيش. أما السردار فقد قام بتجهيز جنود المشاة والفرسان وجنود المدفعية ولابس الدروع الموجودين للدفاع عن بغداد، إضافة إلى الجنود المحليين بمقادير كافية من القذائف والذخائر والمؤن وبما تحتاجه تلك الحملة حتى تم الاستعداد على الوجه المطلوب. وفي يوم السبت الثالث من رجب في تلك السنة المذكورة قام محافظ ديار بكر الوزير المشار إليه وكتخدا جند الباب العالي بالتحرك صباحاً مع جنود انكشارية السلطان ومعهم لواء النصر متوجهين إلى إسكِلة رصيف الرضوانية على ضفة نهر الفرات. وفي اليوم التالي وفيما كانوا مصممين على التوجه نحو الناحية المقصودة جاء إسماعيل آغا من رؤساء بوابي الباب العالي مع رسالة سلطانية من أجل تأكيد الحملة المذكورة وإثارة حمية الجند. وحينما شاع خبر نزوله عند قصبة الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه اقتضى الأمر التوقف، وفي اليوم التالي استقبل الآغا المشار إليه بالإجلال، والتقى بحضرة السردار(القائد العام) وكُرم بإلباسه السمور ونصبت له خيمة مستقلة، ولما كان المومأ إليه مكلفاً بالاشتراك بالجملة فقرر أن يخرج في صحبة تلك الحملة التي تأكدت على الوجه المذكور.

فصل جديد في الحملة:

وفي يوم الثلاثاء السادس من رجب سار موكب القائد والجيش مع الوزراء الأقوياء العظام، وكان ذلك يجلب الفرح للصديق ويحزن العدو والكئيب، وقام المهترخانه(فرقة الموسيقى العسكرية) بضرب الطبول

والنفخ في الأبواق، وبعد مسيرة ساعات وصلوا إلى الميناء المذكور-شاطئ الإسكندرية- ونزلوا عنده، وقاموا في اليوم التالي برفع الأعلام مع شروق الشمس وبعد ذلك أيضاً أقيم مجمع للخيام للاستراحة لمدة تسع ساعات وصلوا إلى هور السلامة، وبعد ذلك تحركت الجموع مسرعة لمدة ثماني ساعات حتى وصلوا عند الطرف الشرقي لقصبة الحلة الخضراء، وكان في استقبالهم عند المكان المذكور قبودان باشي الذي كان يتولى مهمة الدفاع عن تلك القصبة المذكورة. وقد نزل حضرة السردار وحضرات الوزراء في هذا المكان المذكور الذي أُعد لاستقبالهم بنصب الخيام وإحضار الطعام. قام السردار أثناء ذلك بتكريم الباشوات المشار إليهم وألبسهم خلعة السمور. وفي ذلك المحل المذكور مكثوا يومين أو ثلاثة، وفي تلك القصبة المشار إليها تم تحميل السفن بالأوتاد والصناديق والزنابيل والدِّلاء والحبال والمؤن وسائر الأدوات اللازمة لإنشاء السد المذكور.

قام الوزراء والوكلاء بالعبور أولاً بأول إلى الطرف الغربي عن طريق جسر قصبة الحلة المذكورة، وعقب ذلك قام الوزير المشار إليه بالمرور مع الموكب الحافل ونزلوا في المحل المذكور، وبقي فيه أيضاً لمدة يومين أو ثلاثة لاستكمال باقي التجهيزات، وضربت الخيام قرب القرية المسماة "قناقيّة" بالقرب من الحلة وعلى مسافة أربع ساعات منها. وفي اليوم التالي نزلوا بعد مسيرة ست ساعات عند مكان يسمى كشفية، وبعد ثماني ساعات أخرى استقر في مكان قريب من مرقد عون بن عليﷺ، حيث قبضوا على جاسوس من طرف الشقي سلمان. وكان هذا الباغي المذكور قد أرسل بعض رجاله التابعين له برسائل الترغيب إلى الأعراب الساكنين في تلك النواحي ما بين قصبة عانة وحتى البصرة والحويزة لاستنفارهم للحرب ويدعوهم إلى إمداده بالمشاة والفرسان. وما أن وصلت إليهم تلك الرسائل حتى جاءت إمدادات من القبائل العظيمة والعشائر القوية مثل عشيرة شمر، وزبيدي، وأعراب غزية وحتى من حمود بن مانع شيخ المنتفق التابع للبصرة، وولده علي. علمت العساكر السلطانية التي تجاوز عددها الأربعين ألف فارس وجندي مشاة بالإمدادات التي طلبها الشقي سلمان. وفي اليوم التالي قام السردار والوزراء بترتيب الجند وأخذ الحذر والحيطة اللازمة، وقاموا بتقسيمه إلى ميمنة وميسرة. ووضعوا أعلاماً ملونة على كل ناحية وأطواغ مزركشة. ويتردد هنا وهناك أصوات الطبول والنفير التي بلغت عنان السماء وتحرك الجيش كأنه الجبل في بالغ سطوته ووقاره. وكان من المأمول مقابلة الشقي المذكور(سلمان) في هذا المحل المار ذكره، وعليه فقد سار الجيش مسافة ثلاث ساعات وما أن وصلوا على مسافة نصف ساعة من نهر ذياب حط الجيش في الموضع وانشغل أفراده بإنزال الأحمال. وبينما كانوا يتأهبون للنزول عن صهوات الخيل في هذا المكان المملوء بالأشجار إلى درجة لا تسمح بمرور لا الفيل الكبير ولا الثعبان الصغير، ولما كان الموضع المذكور يسهل نصب الشراك فيه فإن الشقي المذكور(سلمان) قام بتعبئة المشاة وحملة البنادق، وفيما كان العسكر السلطاني في غفلة من أمرهم هاجمهم على حين غرة. وحينما أُخبر السردار وسائر الوزراء

والشجعان والقادة المشهورون بالإقدام بظهور أولئك الفرسان التابعين للشقي المذكور، هاجمهم هؤلاء الوزراء والقادة الشجعان فأبلوا بلاءً حسنا فأنعم عليهم السردار، والذي كان قد دخل ميدان المعركة بسيفه الأبيض المملوء بالموت وإن الوزراء العظام الشجعان مثل التماسيح ذات الأكباد السبعة في المستنقعات والأنهار الخطرة. وعلى أصوات التكبير والتهليل والهجوم المتصل مثل هجوم الأسد الجائع على البعير المسترخي، دب الرعب في قلوب الأعداء ولم تتوقف أصوات المدافع التي صمَّت الآذان، ولا نار القبائل التي تشبه البرق، عندها تفرق الأعراب المنافقين مثل جراد منتشر وحمر مستنفرة، وأُجبر الشقي المذكور الذي تفرق شمله ودانت سطوته بقوة القهر الذي ظهر وغلب.

وفي الحال ومع أن لواء البغي والفساد المنكوب كان يأمل في استجلاب الحظ فإن ذلك الشقي وأعوانه وأنصاره تقطعوا وتفرقوا في تلك الأزمة، وقام المشاة والفرسان الموجودون من عساكر النصر بيد واحدة في تطويق الطائفة المكروهة، ولم يرحموا صغيرهم ولا كبيرهم ولا عظيمهم وحقيرهم، وأعملوا فيهم السيف ولم تأخذهم بهم أية شفقة. والحاصل أن العساكر المنصورين الذين يُعدون من مآثر السلطان لم يبقوا على أي شخص لا جبان ولا شجاع ولا مبصر ولا كفيف.

سحب البطل خنجر القضاء ودخل ميدان المعركة كالعاصفة
حارب الرجال بالسيف فأجرى الدماء كنهر جيحون ملك الدنيا
صارت رؤوس الأعداء تملأ الميدان ونصب عليها السيف كالشعار
لقد نزل البلاء فجأة ولم أشك في سوء طبع البغاة
لقد صار الأشقياء عبرة عظم الله هذا الفتح الرباني

وعلى هذا النحو فإن حوالي عشرة آلاف سيئي الحظ قد قطعت رؤوسهم بالسيف، وآلاف الفارين تم أسرهم وتقييدهم، إضافة إلى مقدار آخر كبير هرب وغرق في نهر الفرات. أما الشقي المذكور ووالده فقد فروا مع فلولهم ومن ثم قام العسكر المنصورون بمطاردتهم لمسافة ساعة أو ساعتين ثم عادوا بأمر السردار. وحملت الرؤوس المقطوعة والأسرى الذين ضمهم السردار، حيث إن أكثر الأسرى نالوا جزاءهم فبعضهم قطعت أصابعه الخمس، وبعضهم الآخر ظل مقيداً في الأغلال. وكان هؤلاء المقيدون من سائر قبائل الأعراب التي اجتمعت لحرب السلطان، ولكن بعد أن وهبت لهم الحياة تساووا مع غيرهم من سائر الأجناس الأخرى، حتى أصبحوا في أغلالهم يشبهون الفقراء والشحاذين الهنود. وبعد إطلاق سراحهم تم تشغيلهم في الخدمة في نقل التراب إلى الحفر الآتي ذكرها. أما النساء فقد ضمت أيضاً للأسرى وسلموا في أول ساعة إلى متولي المشهدين إدريس الذي أرسلهم إلى نواحي قصبة النجف. أما الرؤوس المقطوعة فقد كومت حتى صارت كالأبراج وأصبحت طعاماً للسباع والوحوش والطيور. وبفضل الله تعالى أصبح

المغرور منهم طعمة لسيوف الأبطال، وانهزم الأعداء هزيمة منكرة بعد أن مرغت أنوفهم من الألم والغيظ، وفرح جند السلطان المنصورون فرحاً شديداً.

وقد نظمت بعض الأشعار التي وردت إلى ذهن العبد الفقير لأسجل فيها تاريخ هذا الفتح المبين:

نعم الباشا الغازي مصطفى الذي هو كنظام الملك في رأيه
سخى ملك البصرة أولا وأعاد النظام وقهر الأعداء
أعطى الباغي سلمان الخزعلي جزاء ما اقترفت يداه
فرق شمل البغاة بالسيف ومزقهم شر ممزق
ضيق الدنيا على أهل المعصية وفتح باب العطاء للمطيعين
آلاف الخلائق أثنوا عليه ودعوا له بالتمكين

وبعون الحق حُلت هذه المشكلة

وتاريخ الفتح الرباني ١١١٣هـ/ ١٧٠٢م

أما عرب زبيد الذين جاءوا لمعاونة ومساعدة الشقي المذكور في ضلاله فقد تعرضوا للهزيمة مع بيته وأهله وقومه، أما رعايا الحسّكة الذين انخرطوا في الإغارة والهجوم فقد انتهزوا الفرصة ونهبوا ما وقعت عليه أيديهم من أموال. وإن سفن الأسطول السلطاني على الرغم من أنها لم تشارك في المعركة إلا أنها قامت بمنع وصد الأعداء، فقد وصل قبودان باشي مع سفنه بعد يوم أو يومين إلى قرى مناز الشقي المذكور، فبعد أن حقق بعض النصر، قام بإضرام النار في منازلهم وأماكنهم وعاد منتصراً. وبعد أن تم تأديب البغاة على هذا النحو مرات ومرات على النحو المذكور دخل الخوف إلى قلوب الأعراب، فقام بعضهم بالإسراع والانقياد ولزوم الطاعة. فقام أولاً الشيخ شبيب شيخ آل قشعم بالحضور إلى السردار وتعهد له بالالتزام والخدمة فألبسه السردار عباءة الرضى. قام بعدها شيوخ الحسكة، ونهر شاهي، ونهر طهماسيه، وبني مالك، وزبيد بالتعلق بأذيال العفو فأعطاهم حضرة السردار الأمان، شريطة أن يلتزموا طريق الهدوء وأن يؤدوا المال الحكومي وأن يقوموا بخدمات الحفر وبناء السد، وقد طيب خاطرهم بإلباسهم عباءة وعمامة الرضى، وأعطى مقاطعة الحسكة إلى شيوخها، ومقاطعة بني مالك إلى شيخها على وجه المقطوع. وأعاد بعض رعايا أنهار الرماحية، والقدس والباشية، وصُلنبية، ونهر شاهي، وطهماسية، والمسيب، والمحاويل إلى أماكنهم، حيث بدأوا في تعميرها بالزراعة الصيفية والحمد لله. وقد أخذ أبناء السبيل وفقراء النواحي والقرى حقوقهم كاملة رغم انضمام عدد كبير منهم إلى هؤلاء الأعراب الأشقياء.

ووقع الفتح في يوم الإثنين التاسع عشر من رجب في السنة المذكورة، وفي اليوم التالي أرسل خطاب إلى بغداد على جناح الحمام الزاجل، وذكر في تلك الرسالة تفاصيل الواقعة المشار إليها، فعم السرور

والفرح الشديد لأهل بغداد. وعلاوة على ذلك فقد انتشرت أخبار هذا الانتصار في القرى والقصبات الأخرى، فملأ السرور صدور العامة ولهجت قلوبهم بالشكر ولله الحمد والمنة، وأعد بعد هذا الانتصار بيومين ما يشبه المعسكر على نهر الفرات قريباً من ذلك المكان لإقامة ذلك السد، وتحويل النهر الجديد إلى مجراه القديم وعرضوا الأخبار على الدولة العلية.

تنظيم الجيش على شاطئ الفرات:

قام التجار وأهل السوق بإحضار كل ما يحتاجه الجيش من المأكولات والملبوسات ومن تلك الأشياء المشهورة والمجهولة ولمدة يومين من البداية من الطرف الشمالي لنهر الفرات ونصبوا سوقًا هناك. ويوماً بعد يوم تزايدت حركة البيع والشراء وأقبل الراغبون في ذلك، كما أقيمت أماكن متعددة لتنقية الحبوب، وقام الخبازون بإحضار الطحين وعجن العجين، وقام البقالون والعطارون وبائعو الخضروات والجزارون وبائعو الأقمشة بتحفيز المشترين وترغيبهم، وذلك عن طريق النداء عليهم بالألحان الرقيقة حتى أن كثيراً من المقاهي كانت تقام بتسلية الجنود. وكانت السفن الكبيرة المشحونة تأتي من بغداد ومن طرف الحسكة والحلة وتنقل أنواع المأكولات، فضلاً عن أن العسكر المنصورة كانوا سعداء لأن لديهم مؤنًا تكفيهم أكثر من شهرين أو ثلاثة حتى يحققوا نصراً مؤزراً على العربان اللصوص.

نزل جيش حضرة السردار والجنود المحليون وجنود المدفعية وجنود السلطان المسلحون، وحملت المؤن والحدادون والنجارون، واتصلوا بالمعسكر الجيش على طول النهر الجديد للقيام بما يلزم للحفر. قام محافظ الموصل الوزير المحترم إبراهيم باشا وقوات الإنكشارية السلطانية، والوزير المكرم يوسف باشا محافظ شهرزور ثم الوزير الممدوح يوسف باشا محافظ ديار بكر، والوزير الكبير عبدي باشا محافظ كوتاهية؛ بنصب خيامهم. وقد اتفقت آراء الوزراء العظام أصحاب الرأي والفكر على تحديد وتعيين موضع النهر الجديد وتوصيله بالنهر والمجرى القديم وذلك عن طريق الحفر ناحية الجنوب بين الشرق والغرب أمام النهر المذكور. وقد قامت كل فرقة بمباشرة الحفر بطول٥١٧٠ ذراعا وعرض ١٢٢ ذراعا وعمق ٢٠ ذراعاً، وتم تقسيم أعمال الحفر على رجال كل فرقة، وتحديد مقدار كاف من الحفر على الرعايا الذين جاءوا من قصبة كربلاء وقصبة النجف والحسكة والحلة وقبودان باشي. وأعطيت مقادير كافية من آلات الحفر والأكياس للجميع. وقد ابتدأ الحفر في يوم الثاني والعشرين من شهر رجب الفرد وبدأ الرجال بالحفر بهمة ونشاط وبلا ملل، ويوماً بيوم كانوا يباشرون الحفر أربع ساعات من أول الليل وساعتين أو ثلاث من آخره ويقومون بنقل التراب.

حفر النهر:

ترك حضرة السردار الراحة والنوم واجتهد للغاية، فكان يتجول بين كل الطوائف بميعاد وبغير ميعاد بسماحة الوجه وبشاشته، وحسن الكلام، إضافة إلى إنعامهم من العطايا من الذهب والفضة، وبذلك استطاع هذا السردار أن يجلب إليه قلوب العبيد والأحرار، فضلاً عن حسن تعامله مع الوزراء العظام والقواد والأمراء وسائر الجند، وهو ما جعلهم يقبلون بعزيمة وإصرار على تنفيذ الأوامر. وقد قام الوزير الجليل القدير عبدي باشا، والوزير المحترم يوسف باشا، والوزير الآخر يوسف باشا المكرم، والوزير ذو الشأن إبراهيم باشا؛ بترك الراحة وحرصوا على العمل والاشتغال ليل نهار ومعهم جماهير ولاياتهم وجنودهم. وفي كثير من الأحيان كان الوزراء يتقابلون مع حضرة السردار، وكانت آراءهم متفقة للغاية.

ومن أجل رفع الملل عن قلوب العاملين وللتسلية عنهم قام خمسة أو ستة من العازفين من جنود فرقة الموسيقى العسكرية(المهترخانة) بالعزف لإدخال السرور في قلوبهم مع بذلهم البر والإحسان والعطايا، فكانت النتيجة أن عمَّ السرور والفرح في قلوب العاملين وسارعوا في أداء عملهم باندفاع الشاه إلى الملح، وارتفعت من عمل أيديهم ما يشبه التلال والجبال.

ومع أن العمالقة يبقون عاجزين في صحراء قاحلة لا زرع فيها ولا ماء، إلا أنه بلا شك كان الاشتغال بالعمل يمضي بفضل الستر ولطف المولى عز وجل وبركة السلطان وسعيه، والواقع أن فتحاً كهذا أو خدمة عظيمة، لم تتيسر لشخص في الزمن القريب المنظور، لذا فقد تنافس في صنع الخير والإكثار منه الوزراء والأمراء الكبير والصغير، والشيخ والشاب بشكل منقطع النظير.

وبينما كنت أنا العبد الفقير في بغداد جاء خطاب حاسم من طرف السردار يطلب إلينا أن نلتحق به على وجه السرعة ما أمكن، وفي يوم الجمعة الثامن عشر من شهر شعبان التحقت بالجيش واشتركت في الخدمة ونلت السعادة والفخر. والحق يقال: إن ما تم تفصيله من هذا العمل الذي رأيته رأي العين، وما لم أشاهده من تلك الأعمال السابق ذكرها فقد سمعته وتحققت من صدقه. وعلى هذا النحو بذل في الحفر أقصى ما يمكن بذله، وما أن تدفق الماء من طرف النهر الجديد حتى اجتهد الرجال بجد في ستة أو سبعة أيام في نقل الطين حتى استمر العمل لمدة ثمانية وأربعين يوماً.

وفي اليوم الثاني عشر من شهر رمضان، صدر القرار في عمل السد بين النهر الجديد والنهر القديم، وفي اليوم العاشر من شهر رمضان ظهرت فتحات في عدة أماكن متفرقة من السد، ولم يكن بالمستطاع التحكم في قوة تيار المياه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ وعقب انفجار السد قام الوزراء والوكلاء بقراءة الفاتحة وتقديم الأضاحي والقرابين. وبعد رفع الدعاء إلى المولى عز وجل وقراءة الفاتحة والختام وجد أن هذا الأمر يحتاج إلى ما يزيد عن مائتي رجل من الأشداد، ومع صيحة الله أكبر نزلوا إلى

ذلك السد المذكور الذي اجتمع عنده ما يزيد عن ٢٠ ألف شخص يجاهرون بالتكبير والتهليل أن يساعد الله تعالى هؤلاء الرجال الأقوياء.

وفيما كان النهر المذكور أرضاً يابسة إذا به قد صار نهراً عظيماً، وبعد أن اتصل بالمجرى القديم احتاج الأمر إلى نصب جسر، وقد تم بناء ذلك الجسر بسفن عديدة، وبدأ العمل في إقامة سد النهر، ومن بداية الحفر حتى نهايته كان الجيش يحصل على حاجته من مخازن الأسلحة والمهمات الموجودة في بغداد والحلة،وكانت القرى المتعددة توفر الحاجات للحدادين والنجارين والجنود والفرسان وجنود المدفعية. وللإنصاف فإن تدبير هذا القدر من الجند والأسلحة قد تم عن طريق تسخير السواد الأعظم من الناس.

وفي هذه الأيام جاء خطاب من بغداد من طرف السيد القائم بأعمال الوزير يفيد بمقدم سفير من العجم، لذا تم تحرير رسالة من طرف الوزير يطلب فيه استدعاء السفير المذكور مع مقدار كاف من الفرسان لتأمين الطريق له. وفيما كان دفتر دار بغداد مهتماً بأمر الوزير من أجل شراء بعض المؤن والذخائر، لذا تم إرسال عتاد إلى الجيش برفقة السفير المذكور.

وقام حضرة السردار في يوم الرابع والعشرين من رمضان بإعداد وليمة للسفير وذلك في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان دعي إليها الوزراء العظام والأمراء الكرام. وقد تم بسط موائد الطعام وتوالت عليها أنواع الأطعمة والأشربة وقام اللاعبون بالأسلحة النارية بتقديم عروضهم، وقام الجيش الموجود في الأسطول العثماني بإطلاق المدافع، وكان احتفالاً عظيماً ولو شاهده الأعداء لماتوا من الغيظ. رأى هذا السفير ما يبذل من اهتمام لشق الأراضي وكيفية بناء السد، والسعي والجد في تنفيذ هذا الأمر مع أن النهر عميق إلا أن هذا السد كان يشبه سد سبأ. وقد قام الباشا كوي سنجق بمرافقة السفير إلى قصبة النجف. وعندما وصل إليها سعد وفرح بزيارة العتبة الرضية العلوية وبعد ذلك عزم التوجه إلى قصبة كربلاء وقام بزيارة سيد الشهداء. وجاء الشقي سلمان بعد ذلك هو ومعه فئة شمر العرب إلى السفير المذكور، وأعلنوا توبتهم واستغفارهم ورجوعهم عن تلك الطريق المهلكة، وأعلنوا أنهم بعد اليوم منقادون ومطيعون لأمر السلطان، وقد اشترط على نفسه بوساطة السفير ورسالة الاستعطاف والأمل من السردار، وقام هذا المذكور بالحضور إلى الوزير، وكتب رسالة تعهد وأقسم الإيمان والعهود على تنفيذ هذا الأمر. وقد لاقت تلك الشفاعة القبول وتم تحرير رسالة خضوع على تلك الشروط والعهود، وقام بالخدمة، ولكن بعد ذلك خاف هذا الشقي المذكور، إذ لم يجد في نفسه الشجاعة؛ لذا أرسل رسالة مع السفير المذكور إلى والده عباس، ولما كان والده قد أرسل مراراً وتكراراً يطلب الأمان بينما كان الولد متردداً وصل عندها السفير وعندئذ لم يشعر الولد بالأمن، فقام بإرسال أحد أبناء عمومته مع السفير والكتخدا إلى الجيش ومن ثم رجع طيب الخاطر، ولم يظهر أثر للأب ولا الابن. إن هؤلاء جعلوا الوقت يمر بالخطابات التي اشتملت على الحيلة والمكر. وكان مانع شيخ المنتفق سابق الذكر من جهات البصرة قد مات قبل أربعة أو خمسة أشهر، فقام

الوزير المحترم علي باشا محافظ البصرة بتعيين حمود بن مانع شيخاً عليهم، وحينما اقتربت عسكر الإسلام من الشيخ حمود داخله الرعب فأظهر الطاعة وحرر خطاباً إلى السردار طالباً شفاعة والي ولاية البصرة. وتم تحرير خطاب من الوزير إلى المذكور يتضمن رضا الوزير المشار إليه، وكانت المساعي دائمة والتحرك لنيل رضاهم، ولزيادة التأكيد والتنبيه قام آخر بكتابة رسالة محبة أخرى إلى حضرة الوزير المشار إليه. ووصل أثناءها إلى ناحية الحسكة حضرة السردار مع بعض الوزراء وقبودان باشي مع سفن الأسطول العثماني والتقوا ببعض الوزراء والأمراء العاملين في خدمة السد المرقوم، وبعد أن استمالوا قلوب الرعية بالبر والإحسان وبذلوا النصيحة لهم لعدة أيام عادوا إلى الجيش من جديد مرة أخرى.

الفرات الجديد:

ما أن تم إجراء(تسييل) نهر الفرات الجديد على الوجه المذكور بُذل السعي والاجتهاد إلى الغاية من بناء سد النهر المذكور، سواء كان حضرة السردار المحترم أو سائر الوزراء العظام الذين كانوا يلتقون ويتباحثون كل يوم وليلة، ويتشاورون حول أحوال الحفر وبناء السد، وكانت آراؤهم تتفق حول السعي والإقدام الكاملين في أداء العمل ليلًا ونهاراً. ففي كل يوم قد تنقل على ظهور ثلاثة أو أربعة آلاف دابة الأشجار المقطوعة والأخشاب والحطب وينقلونها باثنتي عشرة سفينة، أما الجنود فيعملون ليلًا ونهاراً بنقل التراب فلا عجب، فلم يبدِ كبير أو صغير ولا أمير ولا وزير أي تكاسل ولم يتأخروا ساعة عن العمل. وبينما هم على تلك الحال من العمل والعطاء حلَّ فصل الربيع ودخلت ليلة النيروز(عيد الربيع) وزاد النهر وطغى حتى وصلت المياه إلى الجيش من جهات شتى. ولعدم وجود الأخشاب في أماكن عديدة، فقد أدت قلتها وطول المكث والبقاء وعفونة المكان وزيادة النهر إلى إصابة عسكر الإسلام بالضيق والملل.

وعند حلول شهر ذي القعدة تم تشييد قلعة حصينة من أجل حراسة السد الذي أقيم وتم تعيين قدر كافٍ من المؤن والذخائر والحراس. وقد تم تحميل السفن وساروا إلى ميناء الرضوانية ومنه إلى بغداد على ظهور الدواب وتم صرف كميات كبيرة جداً من النحاس وكميات كبيرة من الأخشاب وكميات كبيرة من شط السد. واجتهد عامة الجند إلى الغاية فيما تأكيد للعيان وفُصّلوا في محاضر موثقة إلى الدولة فلا يحتاج إلى تكرار، وصورة هذا المحضر الذي كتبه العبد الفقير وسميته نهر ذياب الواقع في ولاية بغداد دار السلام، وعرضته على العتبة العلية التي هي سدرة المنتهى وعلى السدرة السنية التي هي في السماء لا زالت محروسة إلى يوم الدين. لقد عرض في ذلك المحضر أحوال البلاد والانكشارية وفرق جنود المدفعية، ولابسي الدروع وأمراء ولايات كوتاهية وديار بكر والموصل وكركوك وقواد الأسطول العثماني وجنودهم الذين كُلفوا ببناء وتشييد ذلك السد على نهر الفرات المسمى نهر ذياب.

وقد اشترك الوزير جليل القدر مصطفى باشا والولاة مع الجنود في أداء هذه الخدمة الجليلة. وفي اليوم العاشر من شهر رجب من تلك السنة قامت العساكر المنصورة من دار السلام للوقوف أمام البغاة والعصاة من الأعراب الذين لقوا جزاءهم بعون الله تعالى وبركة السلطان، ونزل الجند عند المحل المذكور المسمى نهر ذياب الذي لم يعد له أثر من نهر وإن بقي له الاسم.

وقد استعنا بالله وتوكلنا عليه في الحضور على رضا السلطان، وبدأ الحفر في النهر الجديد بطول ٥١٧٠ ذراعا، وعرض ١٢٢ ذراعا وعمق ٢٠ ذراعاً في يوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور من أجل توصيله إلى المكان الذي يجري من النهر القديم المذكور.

وبإقدام واهتمام السردار المحترم والوزراء العظام وسائر الموظفين وجميع الجند والعمل بلا راحة من الصباح حتى منتصف الليل بلا كلل استمر العمل لمدة أربعين يوماً في حفر النهر الجديد ونقل التراب. وكان ينقل في كل يوم ما يزيد عن ١٥ ألف كيس وينتج بعلم الله ما يشبه الجبال والتلال من التراب المنقول. وعندما تم الحفر اللازم على هذا النحو جرى الماء في اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك.

ومن أجل بناء السد المذكور تم سد النهر عن طريق إحضار الصناديق الخشبية الضخمة والمهمات والأدوات اللازمة، وتم في البداية عمل مرفأ صغير بخمسة عشر ذراعاً من الأوتاد، وبعد ذلك تم بالحبال رفع ما يزيد عن ٤٠ ألف زنبيل ضخم (القفة) وملأ ما يشبه البراميل الكبيرة، وألقيت عند النهر المذكور دون أن يظهر لها أي أثر. وبعد أن اختفت تم ملء ما يزيد عن ٢٠ ألف جرة وعندما ألقيت عملت بالقصب والحصير والتراب وأحكمت بحبال من القصب حوالي ثلاثين.

وقام مائتا رجل بإنزالها بصعوبة من التل. ورُبطت برأسين من الأثقال الكبيرة للغاية وألقيت في النهر، وفضلاً عن نقل القصب والأشجار التي نقلت على ظهور ما يزيد عن ثلاثة آلاف من الدواب وما يزيد عن خمس عشرة سفينة من المسماة "أجق"؛ فإنه تم ملأ ثلاث قطع. وفضلاً عن ذلك ألقي هذا العتاد واحداً تلو الآخر في النهر المذكور، وكان الوزير والأمير والكبير والصغير يعملون ليل نهار واستخدمت الخيل والدواب والخدم في نقل التراب ورفع المهامات، ووصل عرض النهر المذكور الذي سبق بيان عرضه إلى حوالي مائتي ذراع.

والواقع أننا كنا نعلم أن التضحية بالماء والروح لإتمام تلك المهمة تُعد كأنها واجبات دينية ومبعثةً للفخر الدنيوي، وعندما جاء فصل الربيع وجاء عيد النيروز فاض النهر المرقوم وهاجمت المياه عساكر الجيش المقيمين على طرف النهر وبقيت المياه في مكانها ولم تنحسر، وأصبح هذا الطريق خطراً وصارت تلك النواحي أهواراً (مستنقعات)، ولما زادت المياه لم يصبح العبور ممكنًا.

وقد حمل أخبار تلك الناحية الأشخاص الموثوق بهم فضلاً عن حركة النهر وتوجهه إلى الجيش كانت تشاهد أولاً بأول رأي العين. ومع أنه وبالتدريج يوماً بعد يوم زاد العمق ولم تعد الأثقال والأحمال

والحطب والأخشاب التي تلقى ترى ظاهرة. ولما كان الوقت ضيقاً والخطر ظاهراً فقد مضى الموظفون والوزراء العظام والمير ميران المكلفون بهذه المهمة إلى مجلس السردار وأطلعوه على واقع الأمر.

وقد بذل حضرة سلطاننا الرحيم العطوف ذو العظمة والعزة ملك البسيطة خليفة رب العالمين في الأرضين خلد الله تعالى خلافته إلى يوم الدين؛ العناية والرحمة والعطف لعبيده الذي بذلوا المال والروح في سبيل عز حضرة السلطان، وبعد أن أبلغ السلطان أنهم قد ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة لنيل رضاه تم بناء قلعة متينة من أجل حراسة وتقوية المحل الذي به السد وعُين حراس؛ لأن ذلك كان ضرورياً لسلامة الأمة المحمدية والملة الأحمدية وكان من لوازم الدين والدنيا.

وعندما وصل الوزير المشار إليه إلى مجلس القيادة وفي حضور الوزراء أصحاب الرأي والصواب تفضل بالحديث قائلاً: "لو حدث تصور في إحضار المعدات الحربية وبذل المال وصرف الجهد لله تعالى فإنه يمكن الراحة والسكون لعدة أيام، فقالوا بلسان واحد وقلب واحد: ما شاء الله إنه لم يقع قصور أو فتور وأنه قد تم بلطف المولى عز وجل وبركة وعناية السلطان في مائة يوم وواحد ما كان يتطلب عمله سنتين أو ثلاثًا.

والنهر المذكور كان نهراً يشبه نهر دربا(جيحون) من الأنهار المشهورة، وعند التحقق والسؤال من الأشخاص المنصفين غير المعترضين عن صدق كلامنا الذي لا يعرفه سوى الحق تعالى، وعن سعي واهتمام عبيد الدولة العلية القائمين على هذه المهمة في تنفيذ السد عند نقصان المياه؛ لعلمت الدولة العلية أن خدمة السلطان منة وأمنية لأرواحنا، لكنه لم يعد لدى جنده طاقة على البقاء والمكث. فقد هاجمتهم المياه وأغرقت الأماكن والأطراف والطرق منذ فترة قريبة، وأصبح والعياذ بالله الخطر والهلكة أمراً مقرراً، وقد فعل الجميع الصواب للنجاة من هذا المحل الخطر. والآن الماء الذي جاء هذا اليوم وتلك الليلة قد أجاب نصف الجيش وأصبح هذا معلوماً ومنظوراً للجميع، وفيما عدا ذلك ولله الحمد فإن النهر الجديد الذي تم حفره في عهد السلطان ودولته كان واسعاً وعميقاً بدرجة كبيرة حتى أن سفن الأسطول الهمايوني العاملة في تلك النواحي يمكنها أن تأتي حتى البصرة.

وعندما نسأل عبيد قبودان باشا في حضور الوزراء العظام عن وصول هذه المياه من النهر الجديد الذي تم حفره إلى البصرة كان الجواب أنه من الممكن حدوث ذلك. والآن فإنه فضلاً عما هو معلوم لدى الدولة العلية عن أحوال السد والنهر الجديد فإنه قد مضى ثمانية أشهر على تحرك هذه القوات من مكانها وأنه في غضون تلك الأشهر حملنا التراب على ظهورنا ونقلنا التراب بدوابنا ولأن الوصول إلى وطننا يتطلب أربعة أشهر ومع بلوغ حملتنا مدة سنة فإنه لم يعد لدى عبيدنا وخدمنا وحتى دوابنا أية قدرة أو طاقة.

والواقع أن حالنا أصبح يرثى لها ولا يمكن مقارنة تلك الحملة بآخر حملة حدثت وبعد ذلك لو تفضلتم

وأصدرتم فرمانًا بمد الخدمة سنة أخرى فلم تُعد هنا طاقة لدى هؤلاء الفقراء والدواب ولن يستطيعوا الحركة ونرجو ونلتمس العناية والمرحمة من العواطف العلية السلطانية.... ومن ثم فإن حضرة السردار المحترم احتاج إلى تقديم المحضر والتقرير إلى الأعتاب العالية والاحتجاج به، ومع عدم تفضيلكم بالرد فإن هؤلاء الفقراء اتفقت آراؤهم على الرحيل من ذلك المحل المذكور في غرة ذلك الشهر الشريف ذي القعدة.

وعندما تقرر أن يعرض الحال على العرش السلطاني والأعتاب السامية(الأستانة) على أمل أن تشملهم الرعاية وأن يصدر في هذا الشأن أمر وفرمان بالرحمة، أخذت محاضر الطوائف المذكورة، وأيضاً قام الوزراء العظام وميرميران الكرام(أمير الأمراء) المكلفين بالخدمة المذكورة بالتصديق على الأمر المذكور بهذا الشأن وكتابتها في الوقت نفسها وختمها وتسليمها إلى حضرة السردار وتقرير الرحيل من ذلك المحل المرقوم.

وبينما كان شطر من الجيش على نهر الفرات وشطر آخر عند النهر الجديد والشطران الباقيان على المجرى القديم للنهر ومع زيادة الماء فإن قدراً من المياه جرى إلى المجرى القديم، ولما صار الجيش في الحقيقة كأنه في جزيرة نصب جسر على المجرى القديم، وعبر الجيش في الضفة الغربية ومكث هناك يوماً أو يومين. وفي غرة شهر ذي القعدة وضعوا رحالهم عند نهر من الأنهار يسمى نهر شاهي على مسافة ثماني ساعات.

وبعد الإقامة لمدة يوم وفي اليوم التالي نصبوا الخيام، وعند نهر يسمى(منزل جلبية) على مسافة أربع ساعات أبقى محافظ ديار بكر الوزير جليل القدر يوسف باشا في الجيش وتوجه حضرة السردار والوزير المحترم عبدي باشا والوزير المكرم يوسف باشا والوزير اللائق بالوزارة إبراهيم باشا وكتخدا الجند والأمراء والزعماء وبعض عسكر النصر متخففين من أحمالهم إلى زيارة الروضة الرضية لحضرة سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه البهي أسد الله الغالب ومظهر العجائب وعلى مسافة أربع ساعات نزلوا ونصبوا خيامهم عند قلعة "باب مستطاب" وبعد أداء فريضة الجمعة تمت سعادتهم بزيارة عتبة رابع الخلفاء علي حيدر رضي الله تعالى عنه. وبعد الإنعام على فقراء القصبة بالأمن والأمان وبعد أن عينت فرقة للحراسة من الإنكشارية الخاصة بالبلاط السلطاني تحرك الموكب مرة أخرى قبل العصر وعاد مسروراً إلى الجيش.

وفي اليوم التالي قام محافظ ديار بكر الوزير المشار إليه أيضاً بإحضار عدد من المدفعية ووضعها في القلعة المذكورة وأدخل السرور والسعادة على الجيش. وتحرك الجيش من ذلك المحل المذكور مجللاً بالهيبة وعلى الطريق قاموا بزيارة ضريح نبي الله سيدنا ذي الكفل عليه السلام المملوء بالنور وفيه رفعوا أكف الضراعة بالدعاء إلى جانب الواحد الأحد الذي ليس له شريك.

وبعد مسيرة ثماني ساعات قاموا بنصب الخيام غرب قصبة الحلة الخضراء ومكثوا في المحل المذكور يومين أو ثلاثة لتجهيز وتنظيم بعض شؤونهم، وقد قرر حضرة الوزير وسائر الوزراء وبعض من جند

النصر التوجه إلى زيارة سيد الشهداء وقرة العين سيدنا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه.

وبعد مسافة سبع ساعات وكان ذلك يوم الأربعاء السابع من شهر ذي القعدة نصبوا الخيام خارج القصبة الحسينية ونزل الجند وصدر فرمان بعدم نزول أي شخص من طائفة الجند إلى القصبة. وقام حضرات الوزراء وجناب السردار بزيارة سيد الشهداء وسائر شهداء كربلاء وبذلوا الصدقات واستمالوا إليهم قلوب الفقراء ثم عادوا إلى معسكرهم وخيامهم مرة أخرى.

وفي الغد تم تعيين فرقتين من إنكشارية الباب العالي للحراسة وتم تكريم الأمير المذكور بالخلع الفاخرة، وتم تدعيم وتقوية القصبة المذكورة بعدد من المدافع والذخائر. وفي وقت الضحى تم رفع اللواء وطي بساط الصحراء وعادوا إلى الجيش في وقت الغروب.

والحق أنه سواء أهل قصبة النجف أو أهل قصبة كربلاء لم يتقيدوا بأمر السردار وتنبيه الوزراء عند دخول وخروج هذا القدر من الجند فغلبت الطباع. وكان الوزراء العظام يفرحون بدعاء الفقراء في المشهدين الشريفين بدوام أيام حكم السلطان وتخليد مملكته وحكمه.

وقد أرسل حضرة السردار ذو الرأي السديد رجلاً شجاعاً جسوراً يسمى داود باشا من قصبة الحلة لحراسة قصبة النجف الأشرف، فضلاً عن تعيين عشر سفن بحرية سريعة لمراقبة بعض تحركات سلمان الشقي في طرف "مباد الحسكة" أو لحراسة تلك الناحية، وأبقى قبودان باشا في حراسة الحلة.

وبعد ذلك أولاً فأول شرع العسكر المنصورة في العبور إلى الطرف الشرقي للقصبة المذكورة، وبعد ذلك تفضل السردار المكرم في ليلة الأربعاء الموافق الرابع عشر من الشهر المرقوم بالنزول إلى الطرف الشرقي بموكب حافل وبعد الإقامة لمدة يوم واحد وبعد رحلة لمدة أربع ساعات وصل إلى الجيش المنصور في الطرف العربي لجسر" المحاويل". وفي الصباح وبعد رحلة شاقة لمدة أربع ساعات نصب الخيام عند مكان رائع يسمى المسيب وفي ذلك المكان حظي شبيب شيخ آل قشعم مرة أخرى بشرف لثم ذيل ثوب الوزير وتعهد بالخدمة وصار جديراً بلبس العباءة.

وقد تحرك السردار ليلاً من المكان المذكور لمدة اثنتي عشرة ساعة، ولما كان على مسافة ساعة ونصف من بغداد وضربت الخيام في المكان المسمى "الدورة" على شاطئ دجلة للراحة؛ وصل حضرة السردار بموكب حافل ومعه السادة الوزراء العظام في كمال الوقار والتمكين إلى بغداد وقوبلوا بالفرح.

وبعد الإقامة لمدة ثلاثة أيام وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة حضر السردار الأكرم إلى القصر الخاص، بطل فرحة النصر وبهجة المنظر، وقام بالإنعام على العلماء والسادات وعامة الأعيان بالخلع الفاخرة والفراء فرفع هؤلاء الدعاء لجناب الباري ولطول عمر السلطان وحكمه.

وبعد مرور أربعة أيام أو ثلاثة جاء الخط الهمايوني بشأن الأمر المذكور وقد كُلف إسماعيل آغا رئيسا ضد القبوجي مع إبراهيم آغا من طرف الوزير بالسفر وإعلام الدولة العلية، ونزل الوزراء العظام

أيضاً كل في مصر مستقل به وانتظروا في بغداد ريثما يأتي الرد على المحضر المرقوم. ولكن أهالي الولايات لم يعد لديهم القدرة على الوقوف ومن ثم ذهب كل شخص إلى داره برغبته وطلبه.

وفي أواخر الشهر المذكور جاءت خطابات من القائد (القبودان) المكلف بالحراسة ومن المشايخ والآغوات الذين كانوا في الحسكة تفيد أن الشقي سلمان قد تقهقر إلى الخلف ورجع مصاباً بالخيبة والحسرات، وقد سعى القبودان والمشايخ بجد واجتهاد إلى استمالة سلمان المذكور. وفضلاً عن تحرير خطابات من طرف الوزير تشتمل على التجهيزات والاستعدادات في الحراسة والأمن فقد نقلت ترجمة الفرمان العربي الذي أُرسل إلى الشقي المذكور، وهذه صورة الفرمان التي كتب ترجمتها العبد الفقير "قدوة العشائر والقبائل الشيخ سلمان الخزعلي ليكن معلوماً لديكم أنك قبل هذا قد أرسلت إلينا تقريراً مع سفير العجم، وكذلك والدكم عباس الذي أعلن توبته واستغفاره وندمه على العناد والأفعال القبيحة والفساد والبغي الذي كان فيما مضى. فإنه بعد اليوم سيسلك مع رعيته طريق الطاعة والانقياد وأنه حصل بهذا الشرط على الرسالة أمان واستمالة من طرفنا لأنه من يكن كافراً ثم يصير مسلماً فله العفو والصفح لدينا، ومن يتوب بعد الردة ويأت إلى الإسلام تكون توبة مقبولة، وأن الاستقامة على الشروط المذكورة وفقاً للشريعة الغراء وأساس الدولة العلية سوف تغسل أعماله السوداء بسحائب العفو.

وقد حررنا رسائل الأمان والاستمالة على قيامه بالزراعة والحرث وأداء المال الميري، والآن فقد أرسلنا أمران ومن ثم عليك الإصغاء إلى أنه إذا ما بقيت على الطاعة والانقياد وعلى نحو ما أعلمناكم به من قبل وقمتم بخدمة رعايا حضرة سلطاننا ذي القوة والمنعة المعظم سلطان الإسلام خلد الله خلافته إلى يوم الدين، وأظهرتم الجد والسعي في الزراعة والحراثة وأداء المال الميري، ورفع راية الحرب؛ فإنك ستجد المأوى والملاذ لك وأولادك وعيالك وأهلك وأنسابك والتابعين لكم وتكون محمياً ومرعياً ولن يلحق بكم الضرر والخسران. أما إذا تكرر رجوعكم عن إيمانكم وسلكتم طريق العناد والبغي والفساد وتجاوزت عن مكانك القديم أو تعديتم على رجل من رعايا السلطان أو على شبر من أراضيه وتبعتم في ذلك تلبيس إبليس، فإنكم تعرضون أنفسكم للقتل ولن تجف سيوف جند السلطان المميتة من دمائكم ولن تطفأ إلى الآن نار الحسرة في قلوب أهلك وعيالك. واعلموا أن ذنوب الجريمة وحزن الأرامل وانكسار الأيتام قد كتبت في صحيفة أعمالكم، وأنه لو أنكم نقضتم العهد ورجعتم عن الحق فإننا بحول الله تعالى وقوته في هذه المرة لن تحملكم أرض ولا تظلكم سماء، وسوف يكون القتل والذبح هو الجزاء والانتقام ولن تنجو نفس واحدة من أتباعكم وتابعيكم. والأمر كذلك فإنكم لا بد أن تتمسكوا بالعروة الوثقى وتنقادوا إلى طريق الطاعة حتى ترحموا أنفسكم وتخلصوا أولادكم وعيالكم وأهلكم من ورطة الهلاك. ومع ثباتكم على التوبة وقيامكم بشروطكم وعهودكم وبقائكم في مساكنكم القديمة وقيامكم بالزراعة والحراثة وأداء المال الميري، وعدم هجومكم على مقاطعة أخرى، وعدم إيذاء الرعايا؛ فإنكم تنالون كمال الرعاية والعطف من طرفنا ومنذ ذلك وحتى

حضوركم إلينا فلا تتعللوا ببعض الأعذار الواهية، ومع الوقت فسوف ترون الرعاية والحماية من طرفنا لذا يجب عليكم العمل بموجب هذا الأمر. حرر في أواخر شهر ذي الحجة من شهر ١١١٣هـ الموافق٢٥/٥/١٧٠٢م".

وقد أرسلت الدولة العلية علوفات لقادة الأسطول واللاوند والسفن البحرية السريعة الموجودة في محافظة الحلة، وفي هذه الأيام وقبل هذا جاءت أربع أو خمس دفعات كبيرة الواحدة تلو الأخرى مع رؤساء البوابين(الحجّاب) وأرسلت إلى تلك الطائفة المذكورة. وأيضاً أرسلت من طرف الرقة إلى بغداد في أواخر شهر ذي الحجة الشريف سفن المؤن التي توقفت عند قصبة عانة لقلة نهر الفرات بسبب ضحالته، وكانت تلك السفن تحمل المؤن والذخائر وجنود الباب العالي والجنود المحليين الموجودين في حراسة بغداد.

الخاتمة:

استعرضنا في الصفحات السابقة ما كان يحدث في مختلف أنحاء العراق من انتفاضات وتصدي السلطة لها ، ونتج عن ذلك سفك دماءٍ غزيرة بين الطرفين، وأوردت الضميمة ما حل من دمار بالشجر والحجر والإنسان، ونتيجة لذلك نجح العثمانيون ليس في الوقوف في وجه الإنسان بل في وجه الطبيعة أيضًا، فكانت ملحمة عظيمة.

رقم النص العثماني "إجمال سفر نهر ذياب"

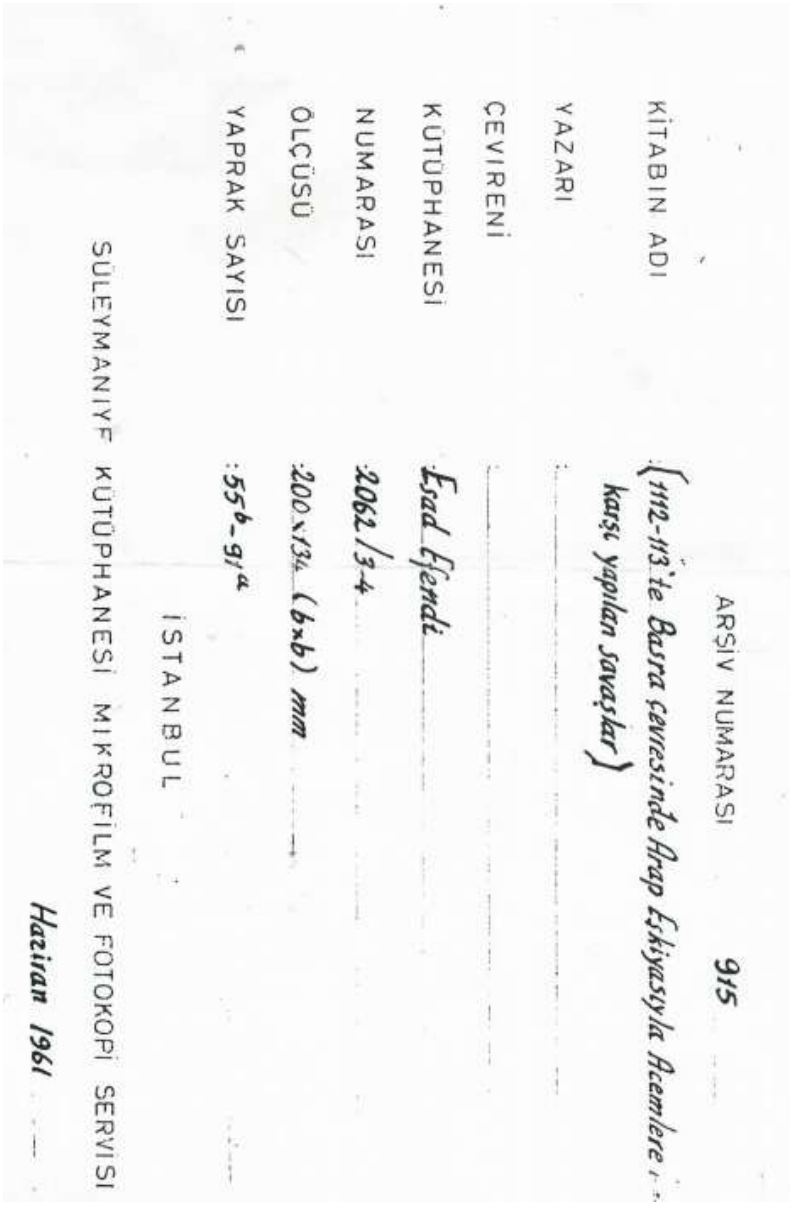

الصفحة الأولى من النص العثماني

النص الأخير من النص العثماني

٣٢

الكشاف

الأعلام

أ

إبراهيم آغا:

إبراهيم أفندي:

إبراهيم باشا:

إبراهيم خان:

أحمد آغا:

أحمد الثالث:

أحمد باشا بن عثمان باشا:

أحمد باشا:

إدريس:

إسماعيل آغا:

إسماعيل باشا:

أشجي محمد باشا:

أوتر:

أيوبي حسن باشا:

إلياس:

ج

جعفر:

جون أثناسيوس:

ح

حسن آغا الجمال:

حسن باشا:

حمود بن مانع:

خ

خليل باشا:

د

داود خان:

دلاور باشا:

ر

راشد:

رستم خان:

س

سعيد:

سلطان حسين علي مردان:

سلمان بن عباس الخزعلي:

سليمان بابان:

ش

شبيب:

الشيخ مانع:

ص

ابن صبيح:

صالت أحمد:

ع

الشيخ عباس:

عباس العُميري:

عبدي باشا: يوسف باشا

علي باشا:

علي كرم الله وجهه:

علي مردان خان:

عماتشه زاده حسين باشا:

ف

فرج الله:

ق

قابوجي خليل آغا:

قبودان باشا:

ك

قابوجي باشا:

كلاوديوس ريتش:

م

محمد باشا:

محمد بك:

مصطفى الثاني:

مصطفى باشا دلتبان:

ن

نظمي زادة:

هـ

ي

كشاف البلدان والأماكن

أ

أردلان:

أرضروم:

إسطنبول:

الإسكندرية:

الأكراد:

أماسيا:

أوروبا:

إيران:

ب

بدرة:

البصرة:

بغداد:

بندر عباس:

بيره جك:

ج

جبل حكاري:

الجديدة:

الجزائر:

جصان:

جنوب الحلة:

جنوب بغداد:

الجوازر:

ح

الحسكة:

حلب:

الحلة:

الحويزة:

خ

خوزستان:

د

دار السلام:

الدورة:

ديار بكر:

ر

الرضوانية:

الرقة:

الرماحية:

س

السماوة:

سيواس:

ش

شاطئ دجلة:

شيوخ الأكراد:

ص

الصفويون:

صُلنبية:

ع

العراق:

عرجه:

العمادية:

عنتاب:

ف

الفرات الأوسط:

الفلوجة:

ق

القدس:

قرمان:

القرنة:

قرية الدير:

قرية بني أسد:

قناقيّة:

ك

كربلاء:

كشفيه:

كوتاهية:

كونك:

م

مرعش:

مسقط:

المسيب:

مشراق:

مصر:

مكري:

مندلي:

الموصل:

ن

الناصرية:

نجد:

النجف:

نهر الدانوب:

نهر الفرات:

نهر جيحون:

نهر دجلة:

نهر دربا:

نهر ياب:

نهر الشاه:

نهر طهماسيه:

و

ولاية شهرزور:

وسط الفرات:

ولاية بغداد:

هـ

هورمان:

العشائر والطوائف والقبائل

أ

الأهوار:

الإيرانيون:

ب

بنوحميد

بني عمير:

بحر الهند:

ج

جحيش:

ر

طائفة الرفاعية:

ش

شط العرب:

غ

غزية:

ف

الفضول:

ق

قبائل الباجلان:

قبائل البيات:

قبائل الفرات:

قبائل المنتفق:

قبائل طي:

التعليقات الهامشية:

(١) هذا البحث جزء صغير من أطروحتنا للدكتوراه، وقد تم ترجمته بتصرف.

(٢) نظمي زاده مرتضى أفندي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، النجف: ١٩٧١م، ص٢٩٥-٢٩٨.

(٣) نظمي زاده، مصدر سابق، ص ٢٩٨؛ Hamilton A new Account of the East Indies, (London, 1930), I, 55؛ ياسين بن خير الله الخطيب العمري، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، حققه سعيد الديوه جي مطبعة الهدف، الموصل، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص١١١؛ عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، الطبعة الرابعة، ج١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١١١.

(٤) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٢٩٩.

(٥) سلحدار فندقليلي محمد آغا، سلحدار تاريخي، إستانبول، برنجي جلد (١٠٦٥-١٠٩٤)، المجلد الثاني، دولت مطبعة سي، ١٩٢٨م، ص٨٠٤-٨٠٥. لقد أعطى سلحدار تاريخ ١١٠٦هـ/١٦٩٤م بوصفه بداية لتمرد بابان، في حين أن نظمي زاده يذكر أن تاريخ سنة ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م بداية التمرد. على كل حال فنظمي زاده هو أدق في معرفة شؤون العراق من سلحدار.

(٦) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٢٩٦.

(٧) سلحدار، مصدر سابق، ص١١٥- ٨٠٤؛ انظر:
Longrigg, BI, art. "Bäban"; Rich, Narrative of a Residence, I, 172 .

(٨) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٢٩٧؛ سلحدار، مصدر سابق، ص٨٠٤-٨٠٥.

(٩) من أجل الاطلاع على الرسالة انظر نظمي زاده، مصدر سابق، ص٢٩٦- ٢٩٧.

(١٠) سلحدار، مصدر سابق، ص٨٠٤-٨٠٥.

(١١) السويدي عبد الرحمن، تاريخ بغداد أو حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، ج١، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، بغداد، ١٩٦٢، ص٢٩-٣٢ وقد تم تحقيقه أخيرًا من قِبَل الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، منشورات المجمع العلمي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م، وإن القسم الأول من الحديقة سوف يشار إليه إلى طبعة خلوصي الزوراء، أما المخطوط فقد نشر أخيرًا سنة ١٩٦٧م، لذلك تكون الصفحات ٢٩٧-٣١٠ هي المقصودة.

(١٢) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠١؛ السويدي، مصدر سابق.

(١٣) العمري، علي ياسين، روض الأخبار في ذكر أفراد الأخبار،BM. MA. ADD. 23 ، ص١٥٥.

(١٤) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٢.

(١٥) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠١-٣٠٢؛ تاريخ راشد أفندي، طبعة القسطنطينية، ١١٥٣هـ، ج٢، ص٣٥٥-٣٥٦.

(١٦) انظر تاريخ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨٤-٢٨٦؛ سلحدار، مصدر سابق، ج٢، ص٦١٣.

(١٧) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٢؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٦-٣٨٢.

(١٨) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٢-٣٠٣.

(١٩) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٣

(٢٠) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٢١) السويدي، مصدر سابق، ص٣٠-٣١.

(٢٢) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٢٣) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٤٨٤-٥٦١؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، الجزء الخامس، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣، ص٤٢-٤٣م، ويجعل العزاوي تاريخ تولي إسماعيل لولاية بغداد في ذلك التاريخ، في حين أن راشد، ج٢، ص٤٨٨-٤٨٩ يذكر أن والي بغداد هو حسن باشا، انظر نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٢٤) إن تاريخ ولاية بغداد كانت لإسماعيل باشا، ولكن راشد، تاريخ، ج٢، ٤٨٨-٤٨٩ يذكر أن والي بغداد هو حسن باشا، انظر نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٣-٣٠٤؛ سلحدار، مصدر سابق، ج٢، ص٨٠٢-٨٠٥.

(٢٥) المصدر السابق.

(٢٦) Narrative of a Residence in Koordistan. (London, 1836), 2 vols I, pp.299 – 300، وقد ترجم أخيرًا إلى اللغة العربية.

(٢٧) محمد طاهر وحيد قزويني، عباسنامه، تصحيح آقاي إبراهيم دهكان، أراك، ١٣٢٩هـ، ص٢٢٧.

(٢٨) راجع دستور شهر باران، طهران، ١٣٧٣هـ/ ١٩٩٤م، ص١٢٤-٣١٤. وقد احتوى على تفصيلات كثيرة لم نجد ضرورة لذكرها.

(٢٩) إن كبير علماء الدولة العثمانية شيخ الإسلام أبو السعود شرح الأسس التي اعتمدتها الدولة العثمانية في سياسة الأراضي، حيث قال إن في الأقطار الإسلامية ثلاثة أنواع من الأراضي بموجب الشريعة، الأولى: تدعى الأراضي العشرية حيث يعترف بها كملك للمسلمين وهي ملك حقيقي وما عليهم إلا أن يدفعوا الإيجار ومثل ذلك أراضي الحجاز والبصرة، أما النوع الثاني: فهو الخراجية حيث تترك ملكيتها إلى غير المسلمين ويدفع عنها خراج المقاسمة وخراج المواظفة، وإذا ما أخذ المسلمون تلك الأراضي عليهم أن يدفعوا أيضاً ضريبة الخراج، أما النوع الثالث: فيطلق عليه أراضي المملكة وإن مبدأ الخراج يؤخذ على الرقبة، أما المالك الحقيقي فهو بيت المال، انظر:

Quoted in Halil Inalcik "Land Problems in Turkish history' in Muslim World, 1955, pp.221 – 228, especial, 222.

(٣٠) في الواقع وجد الباب العالي أن الأفضل لحماية القوافل والقرى تكليف أحد الشيوخ بذلك، وأن المعلومات تشير إلى أن الباب العالي اتبع السياسة نفسها مع شيوخ القبائل في سوريا، انظر عدنان البخيت، The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth century, 232-236; about Iraq see,

Ahmet Asrar, Kanuni Devrinde Osmanlilarin dini Siyaseti ve Islam Alemi, 207.

(٣١) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٥-١٩٦؛

Cf. Mantran "Reglements Piscaux", Ottoman la province de Bassora, JESHO, X, (1967)

(٣٢) حول الملتزم والالتزام انظر: جيب وبون، المجتمع الإسلامي، ج١، ص٢٥٩، ج٢، ص٢١.

(hereafter oited as Gibb and Bowen), Stanford J., Shaw, The 'Financial' and Aaministrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517 - 1798, 64 - (hereafter cited as Shaw, Egypt), H. Inaloik "Op. oit.

(٣٣) راشد، مصدر سابق، ج٣، ص١٩٦؛ العزاوي، مرجع سابق، ج٥، ص١٣٣.

(34)Tr. John Athanasious in Gollancz, Chronicle of Events between the veers 1623 and 1733 relating to the Settlement of the Order of Carmelites in lesopotamia, (hereinafter cited as Gollancz), spelt the name Mahane.

(٣٥) السويدي، مصدر سابق، ص١٩٧؛ وحول الدور السياسي للأعيان راجع:

Hourani Ottoman Reform and the Politics of Notables in Beginning of Modernization. pp.41-68, especial 46

(٣٦) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٢٩٨؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٠-١٨٠، ج٣، ص١٩٧؛ العزاوي، مرجع سابق، ج٥، ص١٣٣.

(٣٧) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٢٩٨، ٣٠٠؛ .70 – 1169 ,11 ,Chron. Persia ;411 ,Gollanoz ، وقد رقي حسن آغا إلى وظيفة باشا برتبة مير ميران.

(٣٨) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٢٩٩؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٦.

(٣٩) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٢٩٩؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٠-١٨١، ١٩١.

(٤٠) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٠؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٢-٢٢٤.

(٤١) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٤٢) نظمي زاده، مرجع سابق، ص٣٠٠؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٤، ٢٢٦؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، أكسفورد، ١٩٢٥م، ص١١٩-١٢٠، وقد قام بترجمته إلى العربية جعفر خياط، عام ٢٠١٧م، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان

(٤٣) رئيس حراس قصر السلطان.

(44) Besim Darket & M. Tavyib GOkbilgin, art. "Bagra", IA, II, 323 – 327.

(٤٥) الضريبة السنوية.

(٤٦) انظر: جب، هاملتون، وبون، هارولد، المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧١م، ص٤٨-٤٩.

(٤٧) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٠؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤؛ العزاوي، مصدر سابق، ج٥، ص١٣٦.

(٤٨) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠١؛ Chron. Persia, 11, 1170.

(٤٩) حول دور الأعيان في الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر انظر: جيب وبون، المجتمع الإسلامي، ج٢، ص٢٥٦-٢٥٧؛

A. Hourani, "The Changing Face of the Fertile Crescent in the XViIIth Century' in Studi a Islamica, VIII, 1937, 89 - 122, especial 96 - 99; idem, "Ottoman Reform and the Politios of Notables" 41 - 68, esp., 48 - 52. Inaleik "Land Problems in Turkish history", 221 - 228, especial, 225; Deenak Sadat, "Rumeli Ayanlari: The Bighteenth Century, In pre pournal 22 lodern Ilotory%, 44, 1972, 346 - 63. 3.1via. Phe BrIn of lodern Turkey, 32 - 33. H. Inalcik "The Nature of Traditional Society", in Political Modernization in Japan and Turkey, ed. by Ward & Rustow, 42 - 63, esp. 43 - 48, Serif Mardin, "Historical determinant of stratification, op. eit., 122.

(٥٠) فيما يتعلق بالمشعشعين انظر تفاصيل ذلك في Minorsky, art."Musha ' shit". EI-Supp

(٥١) أحمد كسروي، تاريخ خمسة قرون من خوزستان، ص٩٥.

(٥٢) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٤١٨-٤٢٠؛ العزاوي، مرجع سابق، ج٥، ص١٤١.

(53) Kasrawi, op.cit. 95., Rashid (Bal rik, 11, 418-20, 428-29) said that Farajallah obtained permission for his action against Mani' from 'Ali Pasha of Baghdad, but this is unlikely

(٥٤) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٧؛ Chron. Persia, II, 117.

(٥٥) العزاوي، مرجع سابق، ص٤١٣-٤١٥.

(٥٦) راشد، مصدر سابق، ص٤٢٨-٤٢٩؛ نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٥٧) راشد، مصدر سابق، ص٤٣٠-٤٣١.

(٥٨) راشد، مصدر سابق، ص٤٣٠-٤٣١.

(59)Gollanoz, 415; Chron. Persia, II, 1170

(٦٠) من أجل الاطلاع على نص الرسالة انظر: CF (B.M;) MS, add, 7857, f. 15a-16b ؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٤٧٥-٤٧٦، وذكر خطأً أن عليًا كان واليًا لبغداد.

(61) Chron. Persia, 1, 495 - 6

(62)Chron. Persia, 1, 495 - 6

(63)Chron. Persia, II, 1170.

(٦٤) إن قبائل كوهجيلو تحادد البوختيارية ويقيمون في الجبال جنوبي الوادي الذي ما بين طريق بهبهان وشيراز، وعلى كل هذه القبائل تنقسم إلى عدة فرق.

(65) Chron. Persia, II, 1171.

(66) The Fall of the Safawi Dynasty and the Afghan Occupation of Persia, 362, 372. hereafter cited as the Safari Dynasty.

(٦٧) العزاي، مرجع سابق، ص٤٢١.

(68) Chron. Persia, II, 1171.٤٢٧-٤٢١ ؛ العزاوي، مرجع ساق، ص

(٦٩) انظر:

Abdulkadir Qzcan, Daltaban Mustafa Pasa, Tarih Enstitusu Dergisi ,Sayi, 13, 1983-1987 (Istanbul).

(70)Abou-el-Haj"Ottoman Diplomacy at Karlowitz" JAOS, 87,no. 4 (1967) 498 Note 1.

(٧١) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٤، راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٤٨٤.

(72)Harvey, the agent of the Levant Company in Aleppo, in his letter of 12th/23rd July, 1700 to William Cheslyn, stated that "In 1700 preparations against the Arabs in the region of Basra putt a great stop to businesse here". S. P. 110; Bundle 73, (quoted by G. Ambrose) "English Traders at Aleppo" in BHR, 3/1931-32, 246 - 67, especially 264

(٧٣) انظر نظمي زاده، مصدر سابق، ص٤٢٧-٤٢٨؛ راشد، مصدر سابق، ص٥٠٩-٥١١.

(٧٤) العزاوي، مرجع سابق، ج٥، ص١٤٥؛ Chron. Persia, II, 1173.

(٧٥) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص ٥١٣، قدر القوات العثمانية بـ ٤٠.٠٠٠ في حين أن الكرمليين في البصرة وإيران قدروها بـ ١٠٠.٠٠٠.

(76) Gollancz, op. cit., Chron. Persia, op. cit.

(٧٧) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٣١٤-٣١٥.

(٧٨) نظمي زاده، مصدر سابق، ص ٤٢٧-٤٢٨؛ Chron. Persia, I I, 1171 – 72، على كل حال يبدو أن عدد الجند بعيد عن الصحة.

(79) Chron. Persia, I, 497.

(٨٠) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٥١٥-٥١٦.

(٨١) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٥١٥-٥١٦.

(٨٢) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٧-٣٠٨؛ Gollancz, 427-8; chron. Persia, II, 1171-73؛ راشد، مصدر سابق، ص٥١٧-٥١٨؛ العزاوي، مرجع سابق، ج٥، ص١٥٠.

(٨٣) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٧-٣٠٨؛ Gollancz, 427-8; chron. Persia, II, 1171-73؛ راشد، مصدر سابق، ص٥١٧-٥١٨؛ العزاوي، مرجع سابق، ج٥، ص١٥٠.

(٨٤) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٧-٣٠٨؛ Gollancz, 427-8; chron. Persia, II, 1171-73؛ راشد، مصدر سابق، ص٥١٧-٥١٨؛ العزاوي، مرجع سابق، ج٥، ص١٥٠.

(٨٥) انظر أعلاه.

(٨٦) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠١ و٣٠٩-٣١٠؛ السويدي، مصدر سابق، ص٢٠-٢٣.

(٨٧) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٨-٣٠٩؛ العزاوي، مرجع سابق، ج٥، ص١٥٢-١٥٣.

(٨٨) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٩-٣١١، السويدي، مرجع سابق، ص٣١-٣٢.

(٨٩) Chron. Persia, II, 1177 note 2.، ومن الجدير بالذكر أن مصطفى باشا دلتابان عندما أصبح صدراً أعظم أرسل إلى باشا البصرة يطالبه بإزالة كنيسة الكرمليين بالبصرة. وإن هذا الإجراء الأخير ضد الكاثوليك يُظهر أن دوافعه كانت سياسية وليست دينية.

(٩٠) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٩-٣١١؛ راشد، مصدر سابق، ص٥٢٥.

(91)Otter, Jean. Journal des Voyage du Sieur Otter. The Bibliothecue Nationale, (Paris MS. No. 989 (This Journal is different from the Voyage en Turquie et en Perse), II, 206 - 207

(٩٢) حول تفصيلات حملة ذياب انظر نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣٠٨-٣١٤.

(٩٣) الغزاوي، مرجع سابق، ص٤٩٨؛ راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٥٣٦؛ نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣١٤؛ لقد تولى دلتابان مصطفى باشا الوزارة العظمى لفترة قصيرة حيث عزل بعد اتهامه بتشجيع ثوار التتر، وتم قطع رأسه، انظر:

Upon the resignation of 'Amchazade Husayn Pasha in 1702.

(٩٤) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣١٤.

(٩٥) نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣١٥.

(96) Gollancz, 410; Chron. Persia, II, 1169, 1173 - 5

(97) Gollancz, 410; Chron. Peraia, II, 1169.

(98) Capt. Hamilton A new Account. 1, 59.

(٩٩) لا نملك معلومات بخصوص تاريخ وطبيعة عصيان خليل باشا ضد الباب العالي في هذا الوقت.

(100)Chron. Persia, II, 1174.

(101) Chron. Persia, II, 1172. ؛ نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣١٦

(102) Gollancz, 437 - 8; Chron. Persia, II, 1176

(103) Gollancz, 437 - 8; Chron. Persia, II, 1176،

جرت العادة قبل هذا التاريخ عندما يتوفى أحد الأجانب أثناء مرورهم بالولاية يعتبر الوالي نفسه وريثًا لثروته.

(104) Chron. Persia, II, 1177 - 81.

(105) Chron, Persia, II, 1177

(106) The Carmelites (of Persia, 2, 1176 - 77)

(107) Gollancz, 455; Chron. Peresis, 11, 1178

(108) Gollancz, 455; Chron. Peresis, 1179

(١٠٩) حول تفاصيل المواد المستعملة من قبل الجيش العثماني انظر:

J.Parry, "Materials of War in the Ottoman Empire", in Studies in the Economic History of the Middle East. 219 - 27; and idem, art. "Barud", B12.

(١١٠) راشد، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩٤-٥٩٥.

(111) Gollancz, 483

(112) Gollancz, 456 - 57, 459, 467, 469; Chron. Persia, II, 1179 - 80

(113) Gollancz, 456 - 57, 459, 467, 469; Chron. Persia, II, 1179 - 80

(114) Kurat "The Retreat of the Turks", 629; Abou-el-Haj, "The Ottoman Vazir and Bagia Households", JAOS, 94, No.4 (1974) 446; Alderson "The Structure of the "Ottoman Dynasty" 66

(115) Gollanoz, 472 - 73; Chron. Persia, II, 1179.

(116) Gollanoz, 478; Chron. Persia, 4, 1180.

؛ راشد، مصدر سابق، ج٣، ص١٩٧؛ نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣١٧.

(117) Gollanoz, 478; Chron. Persia, 4, 1180.

؛ راشد، مصدر سابق، ج٣، ص١٩٧؛ نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣١٧.

(118) Gollancz, 481.

(119) Chron. Persia, IL, 1180؛

راشد، مصدر سابق، ج٣، ص١٣٢؛ نظمي زاده، مصدر سابق، ص٣١٧

(120) Gollancz, 483 –4.

(١٢١) مخطوط مكتبة أسعد أفندي، رقم ٣/٢٠٦٢-٤. وقد تم إعداده للنشر بتصرف من قِبَل الدكتور عبد اللطيف بن ناصر الحميدان، ومرفق به رقم النص.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- سلحدار فندقليلي محمد آغا، سلحدار تاريخي، إستانبول، برنجي جلد (١٠٦٥-١٠٩٤)، المجلد الثاني، دولت مطبعة سي، ١٩٢٨م.
- السويدي عبد الرحمن، تاريخ بغداد أو حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، ج١، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، بغداد، ١٩٦٢، ص٢٩-٣٢ وأخيرًا تم تحقيقه من قِبَل الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، منشورات المجمع العلمي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م، وإن القسم الأول من الحديقة سوف يشار إلى طبعة خلوصي الزوراء، أما المخطوط فقد نشر أخيرًا سنة ١٩٦٧م.
- عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، الطبعة الرابعة، ج١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- مخطوطات تركية، تاريخ راشد أفندي، طبعة القسطنطينية، ١١٥٣هـ، ج٢.
- مكتبة أسعد أفندي، رقم ٣/٢٠٦٢-٤. تم إعداده للنشر بتصرف الدكتور عبد اللطيف بن ناصر الحميدان، ومرفق النص الأصلي.
- نظمي زاده مرتضى أفندي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، النجف: ١٩٧١م.
- ياسين بن خير الله الخطيب العمري، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، حققه سعيد الديوه جي مطبعة الهدف، الموصل، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

ثانيًا: المراجع:

- جب، هاملتون، وبون، هارولد، المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، ترجمة: الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة: الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧١م.
- ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، أكسفورد، ١٩٢٥م.
- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، الجزء الخامس، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

المراجع الأجنبية:

- Abdulkadir Qzcan, Daltaban Mustafa Pasa, Tarih Enstitusu Dergisi ,Sayi, 13, 1983-1987 (Istanbul).
- Abou-el-Haj "Ottoman Diplomacy at Karlowitz" JAOS, 87, no. 4 (1967) 498 Note 1.
- Abou-el-Haj, "The Ottoman Vazir and Bagia Households", JAOS, 94, No.4 (1974) 446.

  Ahmet Asrar, Kanuni Devrinde Osmanlilarin dini Siyaseti ve Islam Alemi, 207. (hereafter oited as Gibb and Bowen), Stanford J., Shaw, The 'Financial' and Aaministrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517 - 1798, 64 -

(hereafter cited as Shaw, Egypt), H. Inaloik "Op. oit.

- Alderson "The Structure of the "Ottoman Dynasty" 66.
- Besim Darket & M. Tavyib GOkbilgin, art. "Bagra", IA, II, 323 – 327.
- Bundle 73, (quoted by G. Ambrose) "English Traders at Aleppo" in BHR, 3/1931-32, 246 - 67, especially 264.
- Cf. Mantran "Reglements Piscaux", Ottoman la province de Bassora, JESHO, X, (1967).

  Deenak Sadat, "Rumeli Ayanlari: The Bighteenth Century, In pre pournal 22 lodern Ilotory%, 44, 1972, 346 - 63. 3.1via. Phe BrIn of lodern Turkey, 32 - 33. H. Inalcik "The Nature of Traditional Society", in Political Modernization in Japan and Turkey, ed. by Ward & Rustow, 42 - 63, esp. 43 - 48, Serif Mardin, "Historical determinant of stratification, op. eit., 122.
- Harvey, the agent of the Levant Company in Aleppo, in his letter of 12th/23rd July, 1700 to William Cheslyn, stated that "In 1700 preparations against the Arabs in the region of Basra putt a great stop to businesse here". S. P. 110.
- Hourani, "The Changing Face of the Fertile Crescent in the XViIIth Century' in Studi a Islamica, VIII, 1937, 89 - 122, especial 96 – 99.
- J.Parry, "Materials of War in the Ottoman Empire", in Studies in the Economic History of the Middle East. 219 - 27; and idem, art. "Barud", B12.
- Longrigg, BI, art. "Bäban"
- Narrative of a Residence in Koordistan. (London, 1836), 2 vols I, pp.299 – 300.
- Otter, Jean. Journal des Voyage du Sieur Otter. The Bibliothecue Nationale, (Paris MS. No. 989 (This Journal is different from the Voyage en Turquie et en Perse), II, 206 – 207.
- Quoted in Halil Inalcik "Land Problems in Turkish history' in Muslim World, 1955, pp.221 – 228, especial, 222.
- Rashid (Bal rik, 11, 418-20, 428-29) said that Farajallah obtained permission for his action against Mani' from 'Ali Pasha of Baghdad, but this is unlikely.
- Rich, Narrative of a Residence, I, 172.
- see Hourani Ottoman Reform and the Politics of Notables in Beginning of Modernization. pp.41-68, especial 46.
- The Fall of the Safawi Dynasty and the Afghan Occupation of Persia, 362, 372. hereafter cited as the Safari Dynasty.
- The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth century, 232-236.